الهدى

اسلامية جامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

سورة البقرة

مصير الجهاد الافغاني ومسؤوليات المسلمين



. نحو فقه للقصص القرآني

. لا سنة من غير فقه

. الاعلام التلفزي والتوعية الدينية

العددان 11-12 — شعبان 1405 هـ / أيار 1985 م — الثمن 6 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدى

اسلامية جامعة تصدرها جمعية
جماعة الدعوة الاسلامية بفاس

المدير المسؤول: المفضل فلواتي

العنوان: حي عز الله - زنقة ٢
رقم ١ - شارع الموحدين - فاس

العددان الحادي عشر والثاني عشر
شعبان 1405 هـ/أبريل 1985
ثمن العدد : 6 دراهم

رقم الايداع القانوني 26-1982

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.
المقالات التي لم تنشر لا ترد إلى أصحابها.

تصفيف لينو النخلة
5 مكرر - زنقة مستغانم - الدار البيضاء

كلمة

بهذا العدد تبدأ « الهدى » باذن الله المرحلة الثانية من تاريخ صدورها، فقد صدر منها لحد الآن عشرة أعداد كان آخرها العدد الخاص بالتربية الاسلامية.

وسوف يلاحظ القارىء الكريم بعض التطور الذي سيصاحب المجلة خلال مرحلتها الثانية - ان شاء الله - طباعة، وتنويعا في الأسلوب والاخراج والتناول، وتجديدا في عرض القضايا والموضوعات التي تشغل بال المسلم في عصر الزحام الفكري، والركام الثقافي المستورد، قصد تلبية حاجاته، وتزويده - على قدر الامكان - بما ينير له الطريق، حتى لا يبقى نهبا للأقلام الحمر والصفر تعبث به ذات اليمين أو ذات اليسار

ورسالتنا الى القراء الكرام، والكتاب الأفاضل، من العلماء والمفكرين المرابطين في الصف الامامي لدرء أخطاء الغزو الفكري والخلقي عن الامة الاسلامية، ألا يبخلوا علينا - مشكورين - بالتشجيع والمشاركة في حمل هذا العبء الثقيل، فهؤلاء البررة هم بعد الله تعالى زادنا في النصح والارشاد، وعدتنا في النهوض والعمل على تأصيل الاعلام الاسلامي الهادف بهذا البلد العريق في أصالته وحضارته الاسلاميتين.

وسنكون ممنونين اذا تفضل الاخوة الكرام البررة - بعد صدور كل عدد من أعداد المجلة في مرحلتها الثانية - بارسال المشاركات القلمية، والتشجيعات المادية والمعنوية وتقديم الاقتراحات والانطباعات والتوجيهات ليتسنى لنا تدوينها وتقويمها قصد تنفيذ ما يتيسر منها في المراحل والأعداد المقبلة بعون الله تعالى، لكي تكون « الهدى » في تطور وتجدد مستمرين

فقد آن للقلم الاسلامي الأصيل أن يخرج من غمده ليطارد الشعوذة والتدجيل، ويكبح جماح الفكر الهزيل، والهراء الدخيل، فهيا الى بناء إنسان متماسك متكامل معتز بعقيدته، مرفوع الرأس بطهارته، سلاحه : « رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا»، وأنشودته : « اللهم ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك ! لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة الا بك » □

الإفتتاحية

أما آن لتلفزتنا أن تساهم في تحصين الامة وشحذ فاعليتها ؟!

□ □ □

إن ضعف التزام مجتمعاتنا بالاسلام التزاما كاملا، وعدم التقيد بحدوده وشرائعه تقيدا تاما في كل مناحي الحياة وعلى جميع المستويات، جر علي المسلمين الفتور والخمود، وفرض عليهم مراوحة أمكنتهم لا يستطيعون التفلت من قيود الجهل والتخلف، وقيود العادات الموروثة المنسوبة للاسلام زورا وبهتانا، وقيود المناهج الفكرية والسياسية المستوردة... للانطلاق إلى البناء الجاد والفعال، الأمر الذي جعل قسما كبيرا من الأمة - لفقده الوعي، والرؤية الصحيحة، والحركة الذاتية - غير مجند للمساهمة في العمل، بحماس ذاتي على تجاوز المرحلة الراهنة، وطي المسافات الفاصلة بيننا وبين تحقيق الطموح المشروع، والتقدم المنشود.

بالاضافة الى ما ترتب ويترتب عن عدم التقيد بالاسلام من أحداث التشقق في البناء الداخلي، هذا التشقق الذي يسبب للامة نزيفا مستمرا، وتآكلا متواصلا، ويمنح المتربصين بها فرصة التسرب عبر ثغورها المفتوحة للتآمر والكيد لها، كما يقدم لهواة الاستغلال والتلاعب بمقدراتها الخدمة المجانية للتمزيق وتفتيت الكيان.

ولقد آن للمسلمين - أفرادا وجماعات، دولا وحكومات - في عصر الصحوة أن يتفقدوا الشقوق والثغرات التي تهب منها عواصف التدمير وسموم التخريب، ويتداركوها بالاصلاح الشامل، يحولوا الجمود إلى حركة، والغفوة الى صحوة، والركود الى يقظة، والفتور الى عزيمة، والعقم الى انتاج، والموت الى حياة، والاستسلام الى رفض ومقاومة، والاستلاب الى أصالة وابداع، والانحراف الى استقامة، واليأس الى أمل، والبؤس الى رخاء، والذل إلى عز، والنكوص والارتداد الى اقدام واقتحام.

وليس ذلك بالامر السهل الذي يتم بين عشية وضحاها، ولكنه يتوقف على تغيير نفسي عميق طويل المدى، قد يستغرق سنين وسنين، الا أنه الطريق الوحيد الطبيعي والموزون لاحداث التغيير الكفيل بانتشال الامة من وهدتها. ووضع قاطرة سيرها الحضاري على الطريق الصحيح، فالتغيير النفسي شرط أساسي في البناء، وسنة كونية ماضية. « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

ولا سبيل للتغيير النفسي المطلوب الا بإحياء الشحنة الايمانية، واسترجاع الدفعة الروحية، واستعادة الوعي بالرسالة الاسلامية، عن طريق التعليم المصبوغ بالصبغة الاسلامية في كل مراحله ومواده ومؤسساته، وعن طريق الاعلام المستقى من

روح الشريعة السمحة، لأن الاعلام المقروء والمسموع والمشاهد، أصبح في عصرنا يكاد يكون المادة الاساسية للتثقيف والتربية والتوعية لدى أغلبية الجمهور، فالاعلام الملتزم يحض الامة، ويشحذ فاعليتها، ويحفظ شخصيتها من الانفصام والتمزق.

و« التلفزة » بما لها من الجاذبية، ويسر التنازل، وقوة التأثير تأتي على رأس وسائل الابداع والمساهمة بفعالية في تكوين الرأي العام، وتجنيده، وتثقيفه، وإشباع نهمه في مسايرة الأحداث، ومعاصرة مشاكل العصر وقضاياه. إذا ما استُغلت استغلالا حسنا، وخطط لها لتكون احدى الوسائل المساعدة على البناء والنهوض، خصوصا اذا ما نظر اليها على أنها نعمة من الله يجب أن يؤدى عليها حق الشكر، بتسخيرها في خدمة أهدافنا، ومبادئنا وقيمنا الاصيلة، وفي التعريف بمشاكل تعثرنا وتخلفنا.

فهل عرفنا كيف نسخرها لذلك ؟! هل جعلنا منها سلاحا لقتل البؤس والرذيلة والظلم والأنانية والانحراف ؟! هل سخرناها لشحذ الهمم وتعبئة الطاقات المخزونة في الأمة لتنطلق بانية الانسانية المكرمة في الانسان المكرم، غارسة فيه حب الطبيعة المسخرة له بفضل الله، وحب الحياة الممنوحة له تكرما من الله تعالى للقيام بحق الاستخلاف في الارض، وحب المال على أنه وسيلة البر والمعروف وتوطيد التضامن والتآلف والتآخي، لا وسيلة التكالب والشره والطغيان والافساد، وحب العمل والجد والمثابرة ومقارعة الخطوب والصمود في وجهها باصرار وعناد ؟! هل جعلناها حقنة لانعاش العدل وتقديسه، وايقاظ الضمائر النائمة او المخدرة في القلوب المريضة ؟! وهل جعلناها أخيرا اداة لترشيد صحوة الامة وتبصيرها بطول الطريق، وعنف التحديات وكثرتها لتتسلح بالايمان وتتزود من التقوى بالزاد الضروري الذي يكفل لها النصر واجتياز المعوقات الداخلية والخارجية بسلام ؟!

ان المواضيع الحية، والقضايا الملحة التي يمكن « لتلفزتنا » ان تعالجها وتتناولها بألف شكل وشكل لا حصر لها ولا عد، فلماذا ضاقت بها السبل وأصبحت تغترف من المستنقعات الآسنة لتحشو أدمغة أجيالنا بفلسفات مهترئة، وأفلام مرذولة، ومشاهد مخجلة، وألفاظ نابية تؤذي المسامع والمشاعر معا، وحركات مائعة تؤذي العين وتخدش الحياء، لا ترسم للمشاهد هدفا، ولا تحقق غرضا، بقدر ما توقظ من الغرائز النائمة، والعادات البهيمية الهابطة حتى الأطفال البرآء لم يسلموا - وفي الاشهار - من ممارسة النظرة الجنسية عليهم !

ان التلفزة ليست جهازا للترفيه والتسلية فقط، ولكنها أيضا أداة للتربية والتهذيب والتثقيف والتوعية بتحديات العصر في كل الميادين، فلماذا يتناسى هذا الجانب المهم منها، ولا تراعى فيها قواعد الترفيه وشروطه ؟! وأبسط قواعده وشروطه أن يكون هادفا ونظيفا، خاليا من الدس المبطن للافساد والتمييع واغراء ذوي النزوات الطائشة بالانحراف، وتعلم فنون الاجرام ؟! ولماذا هذا الاغراق في الترحيب بكل مفسدة، واحتواء كل سفسطة وهرطقة ؟! ألسنا في بلد مسلم دينه الاسلام، وشريعته القرآن الذي أنزل الله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين » ؟!

إن كنا نريد الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وان كنا نريد العز والمجد دنيا وأخرى، وان كنا نريد الحياة المطمئنة الخالية من الصراعات الطبقية والاقليمية، ومن المفاسد الأخلاقية، والأمراض الإجتماعية، فالطريق أمام تلفزتنا واضح وعريض، وذلك ما نرجوه من صميم القلب لتلفزة في بلد يدين بالاسلام، وإن كانت تريد غير ذلك - وهو ما لا نظنه - فلله الأمر من قبل ومن بعد. وصدق الله العظيم إذ يقول - هاديا ودالا على طريق الرشد والمردودية الايجابية - : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا » ■

نحو فقه للقصص القرآني

الأستاذ الشاهد البوشيخي

« لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب »

يوسف 111

أهمية القصص القرآني

إن المساحة التي يشغلها القَصص في كتاب الله عز وجل كافية وحدها للدلالة على أهمية هذا القَصص في ميزان الله تعالى، فضلا عن التنبيهات التي تلفت إلى قيمته الفكرية والنفسية والمنهاجية، ولاسيما في خواتم السور التي تكاد تكون مخصصة كسورة الاعراف، وهود ،ويوسف. قال تعالى في سورة الاعراف : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »[1] وقال جل ذكره في سورة هود : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين »[2]، وقال سبحانه في سورة يوسف كأنما يعقب على كل ما سبق : « لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون »[3].

وإذا علم أن القَصص القرآني هو أساس قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم قصص الصديقين والشهداء والصالحين في علاقتهم بالمغضوب عليهم أو الضالين، وأن أولائك الانبياء ـ ومثلهم من اتبعهم على قدر اتباعهم ـ هم معلمو الانسانية الخير، وهم رحمة الله المهداة إلى العالم، وهم الذين أُلزمت هذه الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس ـ رحمة بها ـ أن تقف بين يدي ربها، رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، سبع عشرة مرة في كل يوم[4]، وعلى أكمل هيأة يقفها خاشع بين يدي ذي الجلال والاكرام، سائلة الله الذي لا إلاه إلا هو سؤالها الوحيد : ان يهديها صراطهم المستقيم !

صراط « الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين »[5]، صراط الذين أنعم عليهم « غير المغضوب عليهم و لا الضالين »[6].

إذا علم ذلك ومثله تبين مدى ما يكمن في هذا القصص من دلالة على الخير، وهداية إلى الرشد، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

وإذا علم ذلك أيضا، تبيّن معنى هذا التوجيه لمن أُلقِي عليه القول الثقيل صلى الله عليه وسلم، بعد أن ذُكر له عدد ممن آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوءة : « أولائك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده »[7] فهل كانت العناية بهذا القصص كِفاء ما ينبغي له ؟

الحاجة إلى مزيد العناية بالقصص القرآني

لقد فُسر هذا القَصص حيث هو في كتاب الله عز وجل ضمن كتب التفسير. وفي ذلك خير أي خير.

وهذا استفاد منه القُصاص والوعاظ والعباد في التذكير والتذكر على مر العصور. وفي ذلك خير أي خير.

ولقد بدأت الدراسات الفنية تظهر فيه في هذا القرن، لافتة النظر إليه، مجلية جماله، كاشفة تفرده، مقارنة أحيانا بينه وبين القصص الانساني...[8] وفي ذلك ان شاء الله خير.

لكن هل ذلك هو كل ما ينبغي لهذا القصص ؟ وهل ذلك اليوم هو فقط ما يستحقه منا نحن قرن المأساة والهزيمة ؟ أليس فيه بصيص هداية لهؤلاء الحيارى ؟ أليس فيه نسائم رحمة لهؤلاء المعذبين في الارض : سكان محور طنجة - جاكرتا ؟ أليس فيه بذور عزة لهؤلاء الذين تدوسهم أظلاف عبدة العجل في فلسطين وأفغانستان، وغير فلسطين وأفغانستان ؟ أليس فيه سبيل ما لإحياء هذا المليار الغُثاء، وإعادته إلى التاريخ مرة واحدة عودة راشدة قائدة ؟

لعل فيه ذلك وأكثر من ذلك، ولكن لمن ؟ لأولي الالباب، « الذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا إلى الله »[10] و « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أولائك الذين هداهم الله، وأولائك **هم أولو الالباب** »[10] و « إنما يتذكر أولو الالباب »[11].

نحو فقه للقصص القرآني

إن زاوية جديدة - فيما يبدو - ينبغي أن ينظر منها إلى هذا القصص اليوم، وقد تكون هي الزاوية الأجدر أن ينظر منها إليه في كل يوم، تلكم زاوية فقه الهداية فيه، فقه إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، فقه تدبير أحكم الحكماء - سبحانه - لأمر أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، من البداية إلى النهاية : كيف علمهم وعلم بهم وكيف رباهم وربى بهم ؟ كيف بدأ النعمة عليهم وبهم، وكيف أتمها عليهم وبهم ؟ كيف صنعهم على عينه، واصطنعهم لنفسه، وأمدهم بمعيته، ودرَّجهم في مراقي اليقين حتى قال قائلهم في أحرج مقام : « كلا إن معي ربي سيهدين »[12]. فقه السير الفطرية، والاسلوب الفطري، والمنهاج الفطري.. أو بكلمة جامعة : فقه « سنة الله التي قد خلت من قبل »[13]، والتي لن تجد لها تبديلا و لا تحويلا.

فهل سيفقه المسلمون هذه السنة ؟ وهل سيفكر الناظرون في تلك الرواية ؟ وهل سيظهر فقه للقصص القرآني كما ظهر قبل فقه للسيرة ؟ وهل سيكون لذلك شأن في فقه الدين وفقه العمل له، وفقه الواقع وفقه العمل فيه ؟ إن ذلك مانرجو أن ينتبه إليه أهل كل اختصاص له صلة ما بتوجيه الانسان، و لاسيما علماء التربية والتعليم، وعلماء التاريخ والاجتماع، وعلماء السياسة والاقتصاد، فلعلهم أقدر من سواهم على تبين معالم ذلك الفقه ودقائقه، ولعلهم أقرب من سواهم إلى الاستفادة منه ومن نتائجه.

وفي انتظار أن يظهر فقهاء في القصص القرآني، فسنحاول - قدر الوسع - أن نلقي نظرات من تلك الزاوية، فقد يكون فيها بعض الدلالة على الخير، وقد يكون فيها ضرب من الإثارة لأهل القدرة فينهضون مفقهين، وفي ذلك - إن شاء الله - خير أي خير، وبالله التوفيق. □

الهوامش :

(1) الآية 176.
(2) الآية 119.
(3) الآية 111.
(4) هو مجموع ركعات الصلوات الخمس.
(5) سورة النساء، الآية 68.
(6) سورة الفاتحة الآية 7.
(7) سورة الانعام الآية 91.
(8) من ذلك :
- التصوير الفني في القرآن لسيد قطب (وحظ القصة فيه نحو الثلث).
- الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله.
- دراسة أدبية لنصوص القرآن لمحمد المبارك (وفيه دراسة موجزة عن قصة يوسف عليه السلام).
- والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب.
- والقرآن والقصة الحديثة لمحمد كامل حسن.
- والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لمحمد حجازي (وحظ القصة فيه نحو الثلث).
- والنماذج الانسانية في القرآن الكريم لاحمد محمد فارس.
- والتعبير الفني في القرآن لبكري شيخ أمين (وحظ القصة فيه نحو الثلث).
- وسيكولوجية القصة في القرآن للتهامي نقره
وغير ذلك من الكتب والرسائل الجامعية التي تدل على تزايد الاهتمام بهذا الجانب مع الايام.
9) سورة الزمر، الآية 16
10) سورة الزمر، الآية 17
11) سورة الزمر، الآية 10
12) سورة الشعراء، الآية 62
13) سورة الفتح، الآية 23.

مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحياء أو الهلاك

الأستاذ محمد أبياط

« عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلفه[1] إلا مقيتا مُمقَّتا[2]. فإذا لم تلفه إلا مقيتا ممقتا نُزعت منه الامانة. فإذا نزعت منه الامانة لم تلفه إلا خائنا مخوَنا. فإذا لم تلفه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلفه إلا رجيما مُلَعَّنا[3]. فإذا لم تلفه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام ».

رواه ابن ماجة

ما هو الحيـاء ؟

الحياء لغة تغيّر وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به. وشرعا كما عرفه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي والطبراني حيث قال :

(استحيوا من الله حق الحياء. قالوا يا نبي الله إننا لنستحيي من الله حق الحياء. قال : ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى.

ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء).

أو كما لخصه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم. يقول : (الحياء) خلق يبعث على اجتناب القبائح. ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وهو نوعان : أحدهما ما كان خلقا غريزيا في النفس غير مكتسب وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله تعالى العبد، ويطبعه عليها، فهو يكف عن ارتكاب القبائح، ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الاخلاق ومعاليها، فهو من خصال الايمان. وفي هذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتي إلا بخير) رواه البخاري ومسلم.

وثاني النوعين ما يمكن اكتسابه من معرفة الله تعالى، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهذا كذلك من أعظم شعب الايمان، بل هو من أعلى درجات الاحسان.

ولعل ما أجاب به أبو سفيان عن أدني الحياء وأعلاه لما سئل عن ذلك، هو من هذا الباب حيث قال : أدنى الحياء أن تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك، وأعلى الحياء أن تستحي منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواه.

وقال بعض السلف : خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك.

وقد يتولد الحياء من تذكر نعم الله تعالى، ورؤية التقصير في شكرها فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصية الله سبحانه. فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والطبيعي معا، لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبائح والاخلاق الدنيئة، فيصير كأنه لا إيمان له، أو كالبهيمة ترتكب كل ما تشتهي.

الحياء المحمود

والحياء المحمود المراد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذلك الذي يحث على فعل الجميل. وترك القبيح، فالمرء الحيي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر في إجلال وتعظيم لله تبارك وتعالى. وقد قارب الشاعر هذا المعنى حينما قال :

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا	وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حياء، وإسلام، وتقوى، وأنني	كريم. ومثلي من يضر وينفع

وأما الحياء الذي يلزمه التقصير في شيء من حقوق الله أو حقوق العبد فلا يسمى حياء، وإنما هو ضعف وخور، وعجز وتقصير في طلب المشروع أو في مجابهة الباطل.

وقد أثنت سيدتنا عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار. لأنهن ميزن بين الحياء المشروع، وبين العجز والضعف عن طلب العلم، والسؤال عما يصلح الحال والمآل، وخاصة شؤون المرأة كالحيض والنفاس حيث كن يسألن الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك دون واسطة. قالت رضي الله عنها : (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) البخاري

التدلي نحو الكفر

وإذا كان للحياء ذلك الأثر الجليل في تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، فما هي المحاذير التي تحيق بالناس عندما يتجردون من فضيلة الحياء ؟

لقد رسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مراحل التدلي نحو الفجور والكفر لكل من خلع عن نفسه هذا الستر الجميل، ستر الحياء والمروءة.

فحينما يأنس المرء من نفسه أنه يستطيع أن ينزع رداء الحياء دون خجل ولا وجل، ويكتسب صفاقة الوجه، والجرأة على هتك المحرمات وتخطي الحدود بله القرب منها.. فإنه يمسي أهلا لارتكاب كل منكر واقتراف كل ظلم وبغي. إما بصفة صريحة، وإما بقلب المفاهيم كأن يعتبر الكذب فنا، والنفاق سياسة، والتحايل ذكاء، والغش براعة، والتجريح والغيبة والنميمة نقدا وتقييما.. لأنه لم يبق ثمة حياء يحول بينه وبين هواه، ويردعه عن الوقوع في المستهجنات والمستقذرات، فيعمل ما يشاء مما تطوعه له النفس، ويسوله له الشيطان، وهنا يصير مقيتا ممقتا، من لدن الله تعالى وملائكته وذوي السجايا السليمة من الناس الذين لم تختل معاييرهم الأخلاقية ولم يحكموا أهواءهم وأغراضهم، لأنهم علموا أن (الحياء والايمان في قرن فإذا نزع الحياء تبعه الآخر) (جامع العلوم والحكم)

ومرارة الشعور بالمقت، لا يعبأ بها ذلك الوقح الذي مرنت نفسه على الخبائث، واستساغت أن تنعت بكل أوصاف اللؤم والدنس، وصدق أبو الطيب حيث صور هذه النفوس المتردية، التي فقدت كل شعور بالعزة والكرامة كأنها جثث هامدة، فقال :

من يهن يسهل الهوان عليه	ما لجرح بميت إيلام

فإذا عرف بين الناس بالخلاعة والمجون، والاستهزاء بالمثل والقيم، وأدرك هو نفسه مدى احتقار الناس له، وازدرائهم به، أطلق جوارحه في العبث والافساد بحقوق الغير حتى إنه قد يجد نشاطا وتلذذا كلما تمكن من مخاتلة أو غدرة أو خيانة، لا يهمه من يكون الضحية،وهل بقي له من وازع يمنعه من أن يعثو في الأرض الفساد؟

إذا رزق الفتى وجها وقاحا	تقلب في الأمور كما يشاء
ولم يكن للدواء ولا لشيء	تعالجه به فيه غناء

فإذا صار علما للخيانة والتلون والمراوغة وفحش القول وقسوة القلب واستيقنت نفسه بذلك واستقر فيهاوحاذره كل من يعرفه، تحول حينئذ إلى ذئب يتلمظ لكل فريسة غافلة مستضعفة، فيسطو في غير شفقة ولا رحمة ينشر الذعر بين الناس ليؤكد بطشه وشره. ومن هبط الى هذا الدرك أصبح ذا حظوة ومكانة عند الرجيم إمام الشر والأشرار عليه اللعنة، يوشح صدره من حين لحين، بأوسمة العار والشنار، والجرائم الخطيرة، والفتن المهولة وهنا يطرد من رحمة الله، ويبعده من كل خير، ويقرب من كل شر فيفخر بفجوره، ويباهي بمكره وإيقاعه، ويعلن عن كفره وجحوده، ويدعو إلى حزبه ومذهبه. وقد يتفوق على إبليس إمامه فيصير مستشارا للأبالسة والمردة الملعونين من الجن والانس.

قال ابن حيان البستي رحمه الله : (إن المرء اذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساوئه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب

سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له. ولا حياء لمن لا وفاء له. ولا وفاء لمن لا إيخاء له. ومن ذهب حياؤه قال ما أحب، وصنع ما شاء) ولله در القائل :

إذا لم تصن عرضا، وتخش خالقا　　　وتستح مخلوقا، فما شئت فاصنع

الحياء وقاية وحماية

وبالتأمل في مراحل الحديث يبدو أن الحياء يشبه الحمى الذي يفصل بين منطقتي الحلال والحرام. فمهما وطىء المرىء أرض الحياء على عمد وقصد، فإنه قد يطل على مشارف الحرام، ويوشك أن يرتع فيه. ويمكن الجزم بأن هذا الاستدراج الخبيث هو عين الهدف الذي ينفق الأعداء في سبيل تحقيقه ما لا يتصور من التفكير والتخطيط والبذل. وذلك بإبداع وتطوير كثير من الوسائل التي تكفل لهم كشف عورات المسلمين، وفضح سوءات المحتشمين، وإهانة المحصنين الغافلين. ومهما برعوا في تزوير الحقائق، وتسمية تلك الوسائل بالثقافة والفن، والأصالة والابداع فإنها لا تعدو أن تكون (عسلا) أنتجته مختبرات الأعداء، يقدمه الأدعياء للمخدوعين في صحون العطف والتعاون والاخاء !!! والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى التلازم القوي بين الحياء والأمانة والرحمة.

والحق أنها جواهر نفيسة، لا يكمل جمالها وبهاؤها الا وهي منتظمة كلها في عقد الايمان، فإذا ما نثرت إحداها سقط باقيها، واشتمال قلب المومن عليها كلها يقتضي وجود نور الايمان وسنائه. وخلو القلب من الحياء يفضي الى خلع الأمانة، ونزع الرحمة، وطرح ربقة الاسلام، وصدق من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي　　　ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير　　　ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير　　　ويبقى العود ما بقي اللحاء.(5)

الهوامش

1) لم تلفه : لم تجده
2) مقيتا ممقتا : بغيضا مذموما
3) رجيما ملعنا : مطرودا من الخير، بعيدا عن رحمة الله
4) ربقة الاسلام : عروة الاسلام
5) اللحاء : القشرة للعود، كالجلد للحيوان .

المراجع

1) فتح الباري، كتاب الآداب. باب الحياء
2) اسلامنا للسيد سابق (ص 156 - 160)
3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حيان البستي ص : 56
4) المعجم الوسيط. مادة : (رجم) و(مقت)
5) جامع العلوم والحكم لابن رجب. الحديث العشرون.

عَشَرة لا يُنتفع بها

عشرة أشياء ضائعة لا يُنتفع بها : علم لا يُعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا إقتداء، ومال لا يُنفق منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام برٍّ وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

وأعظم هذه الاضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة : إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان.

كتاب «الفوائد»
ابن قيّم الجوزية

مقالة مختارة

لا سُنّة من غير فقه...!

الشيخ محمد الغزالي

الاتزان العقلي نصاب لا بد من توفره في أي جو ديني ! إنه أساس التكاليف الدينية، ثم هو بعد أساس التحدث إلى الناس باسم الاسلام...

وسعة العلم ضرورة لفهم وجهات نظر المجتهدين، وترجيح مذهب فقهي على آخر... أما مرتبة الاجتهاد المطلق فاعتقادي أنها درجة أسمى تقوم - بدءا - على الفضل الالهي كما في الحديث... « **إلا فهما يؤتاه رجل في كتاب الله** » وكما جاء في الآيات : « **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهّمناها سليمان، وكلا آتينا حكما وعلما...** »، وانظر إلى عبد الله بن عباس كيف فهم من سورة النصر ما غاب عن أفهام الصحابة في مجلس عمر فقال موضحا المعنى المراد : « أراه حضور أجل النبي صلى الله عليه وسلم..!! إن هذا الذكاء اللماح بعض الحكمة التي ينعم الله بها على من يريد له الخير « **يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا..** ».

عمل الفقهاء أكمل جهد المحدثين

إن جو الفقه والفتوى وتربية الامة وتبصير أولي الامر شأو يستبعد منه قصار الباع والهمة والفكر، ويستحيل أن يحيا فيه المتطاولون الذين يحسنون الهدم و لا يطيقون البناء...
نقول ذلك كله لنلفت الانظار إلى خاصة بارزة في ثقافتنا القديمة هي أن عمل الفقهاء أكمل جهد المحدثين وضبطه وأحسن تنسيقه ويسر الافادة منه. ومن تم قاد الفقه حضارتنا التشريعية في أغلب العصور.

والتأمل في الآثار الواردة يجعل وظيفة الفقهاء لا محيص عنها، ويجعل الاستقاء المباشر من السنة صعبا على العامة ومن في منزلتهم من ذوي النظر القريب، ذلك أن هناك قضايا وردت فيها آثار متقابلة، وقضايا أخرى لا ينفرد في البث فيها حديث فذ...

روى مالك قال : بلغني أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تكارى أرضا فلم تزل في يديه حتى مات ! قال ابنه : فما كنت أراها إلا لنا من طول ما مكثت في يديه ! حتى ذكرها لنا عند موته وأمرنا بقضاء شيء كان عليه من كرائها، ذهب أو ورق... وهذا الحديث يجيز استئجار الارض لزراعتها.

وروى الشيخان عن ابن عباس قال : **خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض وهي تهتز زرعا فقال : « لمن هذه ؟ قالوا : اكتراها فلان، قال : لو منحها إياه كان خيرا أن يأخذ عليها أجرا معلوما...».**

وفي رواية عن رافع بن خديج : « سألني رسول الله **صلى الله عليه وسلم كيف تصنعون بمحاقلكم ؟ قلت نؤاجرها على الربع، وعلى الاوسق من التمر والشعير. قال : لا تفعلوا، ازرعوها - يعني بأنفسكم - أو أزرعوها - أي امنحوها غيركم - أو امسكوها. قال رافع : قلت : سمعا وطاعة ».**

وللفقهاء كلام في هذه المرويات، فمنهم من رفض الايجار حيث تجب المواساة والتراحم، وأباحه في الاحوال العادية، ومنهم من رفضه إذا كان هناك غبن أو غرر، ومنهم من أبطل المزارعة ! ومنهم من أباحها ! وكلاهما غلّب بعض النصوص على بعض آخر لملحظٍ ما، وليس هنا مكان التفصيل ! وقبل أن نورد نماذج أخرى ننبه إلى **أن العقائد والعبادات الرئيسية والسنن العملية جاءت كلها عن طريق التواتر القاطع، وأن أصول الدين وأركان الطاعات وقواعد السلوك لا يرتقي إليها لبس أو تفاوت، وإنما يحدث الخلاف في أمور ثانوية لا يضخمها إلا أصحاب الفكر المختل.**

ما قيمة أن يشرب امرؤ قائما أو قاعدا ؟ لقد جاءت مرويات شتى في ذلك... صح عن الخمسة - ما عدا أبا داود - عن ابن عباس رضي اله عنه قال : **سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم فشرب وهو قائم.**

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : **كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام** - أخرجه الترمذي وصححه.

وعن مالك أنه بلغه أن عمر وعثمان وعليا كانوا يشربون قياما.. وظاهر من هذه المرويات جواز الشرب عن قيام. ومع ذلك فقد روى مسلم عن أنس بن مالك : قال : **نهى رسول الله عن الشرب قائما**، بل روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **لا يشربن أحدكم قائما، فمن نسي فليستقيء...!!!**

ويرى الفقهاء أن الشرب عن قيام مباح، وأنه عن قعود أفضل، و لا حرمة فيما لو شرب قائما، ويخيل إلي أن الاحوال التي تكتنف المرء هي التي تحدد طريقة شربه، فلا عزيمة في القعود و لا جريمة في القيام، وإن كان بعض الفارغين يريد أن يجعل من الحبة قبة، وأن يكثر حولها اللغو !! ومن المرويات التي تحدثت فيها إحدى الاذاعات أخيرا ما جاء في الامور التي تبطل الصلاة، فقد تعلمنا ونحن صغار أن الصلاة لا يقطعها شيء، وأن مرور إنسان أو حيوان أمام المصلي لا يفسد صلاته. وقد أخرج الستة - ما عدا الترمذي - عن عائشة رضي الله عنها قالت : **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت...**

وروى أبو داود والنسائي عن الفضل ابن العباس رضي الله عنهما، قال : **زارنا النبي صلى الله عليه وسلم في بادية لنا، ولنا كليبة وحمارة، فصلى بنا العصر وهما بين يديه فلم يزجرا ولم يؤخرا..!! وظاهر من هذه الاحاديث صحة الصلاة في الاحوال التي وصفتها ! ومع ذلك فقد روى مسلم أن الصلاة - من غير سترة - يقطعها الكلب الاسود والمرأة والحمار، وأن الكلب الاسود شيطان ! وقد استنكرت عائشة هذا الكلام، واستغربته، وذكرت ما يرده !!**

وأغلب الائمة أن الصلاة لا يقطعها شيء، وهم يتجاوزون حديث مسلم و لا يأخذون به !. وهناك من أخذ به وبنى عليه مذهبه.. وقال لي أحدهم : إن السيدة عائشة لم تكن مارة بين يدي المصلي حتى تبطل صلاته ! فقلت ضاحكا : مرور المرأة أمام المصلي يبطل صلاته ونومها أمامه لا يبطلها !! والامر عندي أهون من أن تثور حوله معركة.. ولكن الذي رفضته أن يتصدى أحد أولئك المبطلين لعلم الاحياء، ويهاجم مقرراته ليقول : إن الكلب الاسود شيطان وليس كلبا كبقية بني جنسه !! قلت : « **حديث رفض العمل به جمهور الفقهاء، ولم يروه البخاري وهو يعالج الموضوع ندخل به معركة ضد العلم باسم الاسلام والمسلمين** !! إن التعصب المستغرب لوجهة نظر فرعية لا يبلغ هذا الشطط، ولكنه للاسف مسلك ملحوظ على عدد ممن يشتغلون بأحاديث الآحاد. ومن نماذج المرويات المتقابلة، ما جاء في طريقة البول، فقد وردت آثار بجوازه عن قيام، وجاءت أخرى بمنعه، وروي عن ابن مسعود إن من الجفاء أن يبول الرجل قائما : قالوا : وروي عن ابن مسعود إن من الجفاء أن يبول الرجل قائما : قالوا : الجفاء خلاف البر واللطف، والذي أراه أن ذلك يتبع الاحوال التي تكتنف الانسان، وفي الامر سعة. على أن الامر المثير للقلق أن تجد البعض يعرف أطرافا من المرويات، يكترث بها وحدها ويذهل عن غيرها، ثم يذهب يتحدث عن الاسلام دون فقه أو روية.

روى أحدهم حديث : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار »، ثم حكم على الالوف المؤلفة من عباد الله أنهم من أهل جهنم ! قلت له : إن اسبال الازار كبرا رذيلة، وقد كان في الجاهلية الاولى شارة الرياسة والملك، وقصة الامير جبلة بن الايهم معروفة، أما طول الازار حتى الكعبين أو دونهما قليلا لستر الجسم وتجميله دون اغترار و لا استكبار فهو لا يدخل النار ! فأبى المتحدث أن يستمع إلى شرحي، وعدني من علماء السوء، الخارجين على السنة.

ونظرت إليه وهو كميش الثوب، بالغ الاعتداد برأيه، وقلت له : إذا كان الكبر بطر الحق وغمص الناس - كما عرفه الرسول الكريم - فأنت متكبر، ولو ارتديت ثوبا إلى الركبتين !! ورأيت نفرا من هؤلاء يغشون المجامع مذكرين بحديث أن أبا الرسول صلى الله عليه وسلم في النار ! وشعرت بالاشمئزاز من استطالتهم وسوء خلقهم.

قالوا لي : « كأنك تعترض ما نقول ؟ قلت ساخرا : هناك حديث آخر يقول : « ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فاختاروا أحد الحديثين... قال أذكاهم بعد هنينهة : هذه آية لا حديث ! قلت : نعم جعلتها حديثا لتهتموا بها، فأنتم قلما تفقهون الكتاب !! قال : كانت هناك رسالات قبل البعثة، والعرب من قوم إبراهيم وهم متعبدون بدينه..! قلت : العرب لا من قوم نوح و لا من قوم إبراهيم وقد قال اله تعالى في الذين بعث فيهم سيد المرسلين : « **وما أتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا**

إليهم قبلك من نذير » وقال لنبيه الخاتم : « **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون** ».

كل الرسالات السابقة محلية، مؤقتة، وابراهيم وموسى وعيسى كانوا لاقوامهم خاصة !! وللفقهاء كلام في أن أبوي الرسول في النار، يردون به ما تروون،، لقد أحرجتم الضمير الاسلامي حتى جعلتموه ليستريح يروي أن الله أحيا الابوين الكريمين فآمنا بابنهما. وهي رواية ينقصها السند. كما أن روايتكم ينقصها الفقه. و لا أدري ما تعشقكم لتعذيب أبوين كريمين من أشرف الخلق، ولما تنطلقون بهذه الطبيعة المسعورة تسوءون الناس... ؟ إن المرويات تتعارض في ظاهر الامر، وهنا يدخل علماء الفقه والأثر للتنسيق والترجيح، وقد يصح السند و لا يصح المتن. وقد يصحان جميعا ويقع الخلاف في المعنى المراد. وهذا باب واسع جدا، ومنه نشأ ما يسمى بمدرسة الاثر ومدرسة الرأي، والاولون أقرب إلى الفقه الظاهري وإن خالفوه كثيرا. والآخرون أوسع دائرة وأبصر بالحكمة والغاية، وكلاهما إلى خير إن شاء الله. وعندما يخالف أثر صحيح ما هو أصح سمي شاذا ورفض. وعندما يخالف الضعيف الصحيح يسمى متروكا أو منكرا. وقد رأيت ناسا يبنون كثيرا من المسالك على هذه المتروكات والمناكر باسم السنة، والسنة مظلومة مع هؤلاء الجهال.

ضرورة العناية بالقرآن الكريم

ولست أقرر جديدا في هذا الميدان، والذي أراني مضطرا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه، فإن ناس أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورا، فنمت أفكارهم معوجة، وطالت حيث يجب أن تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس، وبردوا حيث يجب الثورة ! نعم من هؤلاء من ظن الافغانيين من أتباع أبي حنيفة لا يقلون شرا عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس، لماذا ؟ لانهم وراء إمامهم لا يقرءون فاتحة الكتاب (!). والذهول عن المعاني الاولية والثانوية التي نضح بها الوحي المبارك لا يتم معه فقه و لايصح دين... ذكر أبو داوود حديثا واهيا جاء فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله تعالى، فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » هذا الحديث الضعيف المردود خدع به الامام الخطابي وعلل النهي عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكبه و لايؤمن هلاكه في غالب الامر !!! والكلام كله باطل. فقد قال المحققون لا بأس بالتجارة في البحر. وما ذكره الله تعالى في القرآن إلا بحق، قال الله عز وجل : « **وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ».

إن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إدمان القراءة في كتب السنة، فإن السنة تجيء بعد القرآن، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه. وقد ذكر ابن كثير أن الامام الشافعي قال : « كل ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن »، فكيف يفقه الفرع من جهل الاصل ؟

إن الوعي بمعاني القرآن وأهدافه يعطي الاطار العام للرسالة الاسلامية. ويبين الاهم فالمهم من التعاليم الواردة ويعين على تثبيت السنن في مواضعها الصحيحة.

والانسان الموصول بالقرآن دقيق النظر إلى الكون، خبير بازدهار الحضارات وانهيارها، نير الذهن بالاسماء الحسنى والصفات العلى، حاضر الحس بمشاهد القيامة وما وراءها، مشدود إلى أركان الاخلاق والسلوك ومعاقد الايمان، وذلك كله وفق نسب لا يطغى بعضها على بعض وعندما يضم إلى ذلك السنن الصحاح مفسرة للقرآن ومتممة لهدايته فقد أوتي رشده.

والمسلم الذي يحترم دينه وأمته لا يرى الصواب حكرا عليه فيما يعتنق من وجهات النظر ؟ قد يرى الصمت وراء الامام عبادة، ولكنه لا يزدري أو يخاصم من يرى القراءة عبادة ! وقد وسعت جماهير الامة هذه السماحة من عصور طوال، وقامت مذاهب كثيرة متحابة، حتى جاء من يرى في الحديث رأيا، خطأ كان أم صوابا ثم يقول هذا هو الدين، لا دين غيره !!

لقد خامرني الخوف على مستقبل أمتنا لما رأيت منشغلين بالحديث ينقصهم الفقه، يتحولون إلى أصحاب الفقه، ثم إلى أصحاب سياسة تبغي تغيير المجتمع والدولة على نحو مارووا ورأوا...

إن أعجب ما يشين هذا التفكير الديني الهابط هو أنه لا يدري قليلا و لا كثيرا عن دساتير الحكم وأساليب الشورى وتداول المال وتظالم الطبقات، ومشكلات الشباب ومتاعب الاسرة وتربية الاخلاق... ثم هو لا يدري قليلا و لا كثيرا عن تطويع الحياة المدنية وأطوار العمران لخدمة المثل الرفيعة والاهداف الكبرى التي جاء بها الاسلام.

إن العقول الكليلة لا تعرف إلا القضايا التافهة، لها تهيج، وبها تنفعل، وعليها تصالح وتخاصم ! هززت رأسي أسفا وأنا أرمق مسار الدعوة الاسلامية !

إن الرسالة التي استقبلها العالم قديما استقبالا المقرور للدفء، واستقبال المعلول للشفاء هانت على الناس فلم يروا ما يستحق التناول، وهانت على أهلها فلم يدروا منها ما يرفع خسيستهم ويحمي محارمهم...!

هبوطٌ عمَّ الدين واللغة معاً

ويبدو أن الهبوط عمَّ الدين واللغة معا، فهان الادب هوان الايمان، ورسب المبنى والمعنى جميعا في قاع بعيد القرار...

كنت أقرأ صحيفة « الجزيرة » فاستوقفني عنوان عن القلق والابداع والاديب المعاصر. وأدهشني وأنا أقرأ أن المتنبي ذكر اسمه في سياق واحد مع نزار قباني... المتنبي الحكيم يقول في تصوير المجد وتكاليفه :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن   لما يشق على السادات فعّال
لا وارث جهلت يمناه ما كسبت   و لا سئول بغير السيف سأّل

والقباني يقول في رثاء امرأته :

السيف يدخل لحم خاصرتي وخاصرة العبارة !
كل الحضارة أنت يا « بلقيس »... والدنيا حضارة !

الحق أني استنكرت الجمع بين الحكمة والقمامة، بين الأدب في الأوج والأدب في القاع ! بيد أني عدت إلى نفسي أقول : إن ما وقع في ميدان الشعر والنثر صورة مساوية لما وقع في ميدان الدعوة، أليس مضحكا أن يدخل داعية في مسجد، فينظر إلى المنبر ثم يقول : بدعة !! لماذا ؟ لانه من سبع درجات، ويرى أن يقف على الثالثة لا يعدوها،، ثم يرى المحراب فيقول أيضا : بدعة،، لماذا ؟ لانه مجوف في الجدار، ثم ينظر الى الساعة ويقول : بدعة،، لماذا ؟ لانها تدق كالجرس،، **وأخيرا يتكلم فيخوض في موضوع غث، لا ينبه غافلا و لا يعلم جاهلا و لا يكيد عدوا، المهم عنده الاستمساك بالسنة...!! على الشكل الذي يراه..** أي سنة تعني ؟ إن النبي العربي المحمد قدر بسنته على إحياء أجيال بدلت الارض غير الارض، وحطمت إمبراطوريات ذاهبة في الطول والعرض ! انه - صلى الله عليه وسلم - أنعش بسنته جماهير كانت في غيبوبة، وأطلقها تسعى بعدما أضاءها من الداخل فعرفت المنهج والغاية !! اننا بحاجة إلى شعاع على مسار الدعوة، وحقيقة السنة، فكم ظلمت السنة ممن يتندقون بها.

نافذة على تراثنا الفقهي الخالد

القواعد الفقهية الكلية العامة

الأستاذ أحمد البوشيخي

تمهيد

إننا من خلال هذه النافذة سنعمل بحول الله على تسليط بعض الأضواء على جوانب من تراثنا الفقهي الخالد، رجاء أن يكون في ذلك ما يعيد ربطنا بهذا التراث الحي، ويجدد ثقتنا فيه، ويحثنا على بناء حياتنا وحضارتنا على وفقه، فنتخلص بذلك من هوان الذيلية والاستلاب، ونحقق ما نصبوا إليه من عزة وتقدم وازدهار.

وقد اخترنا جوانب هذا التراث - كإطلالة أولى - قواعد الفقه الكلية العامة، لما لها من أهمية خاصة في مجال التفقه والتشريع، ولما تمتاز به من قدرة على التكيف مع الواقع، وبسط هيمنتها على كل ما يستجد به من الأحداث والوقائع.

وسنكتفي في هذه الحلقة بإعطاء نظرة عامة موجزة عن هذه القواعد، على أن يكون لنا معها لقاءات أخر في أعداد قادمة - إن شاء الله تعالى - نتناولها خلالها واحدة واحدة- حسب الأهمية - مع ذكرما أمكن من آثارها وتطبيقاتها.

معنى القاعدة الفقهية الكلية العامة

القاعدة في اللغة هي أساس الشيء وأصله، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل »(1)

وأما في الاصطلاح، فقد ذكر الفقهاء لها تعاريف كثيرة، لا نطيل بذكر جميعها، ولا التعليق عليها وإنما نختار منها ما نرى أنه أجمعها وأضبطها، وأوفاها بالمراد، وهو تعريف كل من الامام أبي عبد المقري ـ (ت 756 هـ) ـ قديما، وتعريف الدكتور مصطفى أحمد الزرقا حديثا.

وقد جاء في تعريف المقري لها أنها « كل كلي هو أخص من الأصول، وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة »(2)

وأما الدكتور الزرقا، فإنه ربما التفت ـ في تعريفها ـ إلى ما ذكره مهذب « الفروق »، وغيره من أن قواعد الفقه أغلبية، وأنها لا تطرد في كل جزئياتها؛ بل ترد عليها استثناءات للضرورة، أو الاستحسان، أو رفع الحرج، أو غير ذلك من الاعتبارات الشرعية المطلوبة لحفظ المصالح، وتحقيق مقاصد الشرع، ولذلك فقد عرفها بقوله إنها « حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته »(4)

وواضح أن التعريف الأول أضبط، والثاني أحوط.

أقسامها وخصائصها

تنقسم قواعد الفقه الكلية العامة إلى قسمين :

أ ـ **قواعد متفق عليها**، وعلى أغلب أحكام الفروع والمسائل المندوحة تحتها. ومن خصائصها : وجازة صياغتها، واتساع معانيها، واتصافها بالخبرية والعموم. ومن أمثلتها : « الضرورات تبيح المحظورات » و« الأمور بمقاصدها » و« الأصل براءة الذمة » و« المشقة تجلب التيسير »

ب ـ **قواعد غير متفق عليها**، ولا على أحكام المسائل المندوحة تحتها، وتختص بورودها مقترنة بالاستفهام المشعر بوجود اختلاف فيها، وفي العمل بها، ومن أمثلتها : « الظن هل ينقض بالظن أم لا ؟ »، و« النسيان الطارىء هو كالأصلي أم لا ؟ » و« تقديم الحكم على شرطه، هل يجزىء ويلزم أم لا ؟

وكثير من قواعد القسم الأول قد أصبحت لشهرتها وأهميتها ـ معتبرة ومقررة كمبادىء حقوقية ليست لدى الفقهاء فقط، بل لدى القانونيين أنفسهم كأنها ـ كما يرى الدكتور مصطفى الزرقا ـ « ثمرات فكر عدلي وعقلي، ذات قيم ثابتة في ميزان التشريع، والتعامل، والحقوق، والقضاء »(5) ومن ذلك مثلا قاعدة : « الأصل براءة الذمة » وقاعدة، « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني » وغير ذلك. وربما كانت القاعدة القانونية « الحيازة دليل الملكية » مخرجة على القاعدة الفقهية السابقة : « الأصل براءة الذمة ».

نشأتها وتطورها

إن القواعد الفقهية ـ بالمعنى الذي قد عرفنا ـ تعتبر بمثابة اللبنات الأساسية لصياغة النظريات العامة في الفقه الاسلامي. ولما كان هذا الفقه لم يتكون دفعة واحدة، ولا في عصر واحد، بل خلال حقبة طويلة من الزمن. امتدت من أول ظهور الاسلام إلى ما بعد تدوين المذاهب الفقهية، وأحكام صياغتها، وتقعيد أصولها، وبناء فروعها عليها. أقول لما كان الأمر هكذا، فقد كان من الطبيعي أن يتأخر وضع هذه القواعد إلى حين استقرار الأحكام الفقهية، وضبط فروعها، ومسائلها وجزئياتها؛ إذ مع المعلوم أن الذي هدى الى وضع هذه القواعد ـ بعد كتاب الله(6). وسنة رسوله(7) صلى الله عليه وسلم ـ هو ما لوحظ من وحدة مناط جامعة بين العديد من هذه الأحكام والفروع والمسائل والجزئيات تقتضي اندراجها تحت أحكام كلية واحدة وهكذا لم يفكر في وضع هذه القواعد ـ كعلم مستقل فيما يبدو ـ الا خلال القرن الرابع الهجري. ولعل أول واضع لها ـ أو جامع لها على الأصح ـ هو أبو طاهر الدباس الحنفي الذي كان حيا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين كما جاء في مقدمة كتاب « الأشباه والنظائر »(8) لابن نجيم

وقد كان مجموع ما وضع أو جمع منها، سبع عشرة قاعدة، تعتبر خمس منها ـ كما يرى الدكتور مصطفى الزرقا في « المدخل » ـ أمهات القواعد، ومباني الأحكام الشرعية من نصية واجتهادية. وهذه القواعد الخمس هي :

1 ـ الأمور بمقاصدها. 2 ـ الضرر يزال. 3 ـ العادة محكمة. 4 ـ اليقين لا يزول بالشك 5 ـ المشقة تجلب التسيير.

وقد نظمها بعضهم على أنها أساس مذهب الامام الشافعي. فقال :

خمس مقررة قواعد مذهب
للشافعي فكن بهن خبيرا
ضرر يزال، وعادة قد حكمت
وكذا المشقة تجلب التيسيرا
والشك لا ترفع له متيقنا
والقصد أخلص إن أردت أجورا

وقد توالى وضع هذه القواعد بعد أبي طاهر الدباس، وتزايدت أعدادها، وتنافس كبار فقهاء المذاهب في التأليف فيها، والتخريج عليها، والحاق نظائرها بها، وبيان ما قد يكون من الفروق بين المتشابه منها، إلى أن أصبحت فنا من الفقه قائما بذاته يعرف بعلم القواعد الفقهية.

ومن أوائل من ألف فيها الامام أبو الحسن الكرخي (تـ 340 هـ)، وأبو زيد الدبوسي (تـ 430 هـ)، وأبو جعفر عمر النسفي (تـ 537 هـ)، وعزالدين عبد السلام (تـ 660 هـ). ولعل آخر مؤلف هام فيها هو كتاب : « الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية » للشيخ محمود حمزة مفتي دمشق في عهد السلطان عبد الحميد العثماني.

غير أن أشهر المؤلفات المتداولة على الاطلاق هي :

1 ـ كتاب « الفروق » لأبي العباس شهاب الدين القرافي المالكي المتوفى سنة 634 هـ.

2 ـ كتاب « القواعد في الفقه الاسلامي » لأبي الفرج عبد الرحمان بن رجب الحنبلي المتوفى سنة 795 هـ.

3 ـ « الأشباه والنظائر » لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي الشافعي المتوفى سنة 911 هـ.

4 ـ « الأشباه والنظائر » لزين العابدين بن ابراهيم بن نجيم الحنفي المصري المتوفى سنة 970 هـ.

أهميتها وأثرها في مجال التشريع

ان هذه القواعد وان كانت أحكام أغلبية فقط، وأنه لا يقضي بها بمفردها، دون استناد إلى نص آخر خاص أو عام. فإن ذلك لا يقلل من أهميتها، ولا يحط من قدرها، وقوتها، وأثرها في مجال التفقه والتفقيه، ولا ينقص شيئا من بالغ الحاجة اليها في ميدان القضاء والتشريع، والافتاء، وذلك لأنها هي التي تصور الأفكار الفقهية المبدئية التي تعبر عن المنهاج القياسي العام في حلول القضايا، وترتيب الاحكام عليها، الأمر الذي تتكون معه للعالم بها ملكة خاصة، وقدرة فائقة على معرفة الأحكام الشرعية، واستنباط الحلول للوقائع المستجدة؛ بل وربما القدرة على وضع قواعد كلية جديدة، تؤكد مرونة تراثنا الفقهي، وحيويته، وقدرته على مسايرة التطور ومتطلبات العصر.

كما أنها تعتبر من جهة أخرى مرحلة لابد منها للانتقال بالفقه الاسلامي من طور قيامه على الفروع والجزئيات الخاصة، الى طور بنائه على القضايا الكلية والنظريات العامة، حتى يسهل الرجوع اليه، والاستفادة منه، وتبين فلسفته، ومقاصد أحكامه.

ونختم حديثنا عن هذه القواعد، وعن بيان أهميتها بهذا النص الهام لأحد أعلام هذا الفن وفلاسفته، وأحد أكبر المؤلفين فيه. وهو الامام القرافي.

يقول هذا الامام في مقدمة كتابه « الفروق » :

« إن الشريعة المعظمة المحمدية... اشتملت على أصول وفروع. وأصولها قسمان : أحدهما المسمى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه الا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، ونحو الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم، ونحو ذلك. وما خرج عن هذا النمط الا كون القياس حجة، وخبر الواحد، وصفات المجتهدين.

والقسم الثاني قواعد فقهية كلية كثيرة العدد عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه. لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، ولم يذكر منها شيء في أصول الفقه. وان اتفقت الاشارة اليه هنالك على سبيل الاجمال، فبقي تفصيله لم يتحصل.

وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع. وبقدر الاحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف، وتتضح مناهج الفتاوي وتكشف....

ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية. دون القواعد الكلية. تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لاتتناهى، وانتهى العمر ولم تقض نفسه من طلب مناها.

ومن ضبط الفقه بقواعده، استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع البعيد وتقارب، وحصل طلبته في أقرب الأزمان، وانشرح صدره لما أشرق فيه من البيان...(14)

هوامــش

1 - الآية 127

2 - انظر الملزمة 2. ص 2. من كتاب شرح المنجور لقواعد الزقاق. المطبعة الحجرية الفاسية. مكتبة كلية الشريعة بفاس. رقم ش 551.

وانظر مقال : « أصول المذهب المالكي وقواعده » للدكتور عمر الجيدي بمجلة دعوة الحق. عدد 232. ص :90

وأبو عبد المقري هو محمد بن محمد التلمساني. قاضي الجماعة بفاس. وأحد مجتهدي مذهب مالك. له مؤلفات عدة منها : كتاب « القواعد » في المذهب المالكي، اشتمل على ألف ومائتي قاعدة. وهو كتاب غزير العلم، غير متداول (ت- 756 هـ)

3 - انظر « تهذيب الفروق » للشيخ محمد علي بن حسين المكي المالكي، على هامش كتاب « الفروق » للقرافي ج 1 ص 36. تحت الفرق الثاني

4 - « المدخل الفقهي العام » ج 2 ص 946 طبعة طربين. دمشق. ط 10 1968.

5 - ذكر ذلك عند تقديمه لكتاب والده أحمد الزرقا : « شرح القواعد الفقهية » دار الغرب الاسلامي. ط 1. 1983 ص : 5 م

6 - كقوله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الذي هدى إلى قاعدة : « المشقة تجلب التيسير »....

7 - كحديث « إنما الأعمال بالنيات » الذي هدى إلى قاعدة « الأمور بمقاصدها »

8 - انظر ص 15 من الكتاب المذكور

9 - انظر ج 2 ص 953. طبعة طربين. دمشق. ط 10 1968

10 - لم أعثر على ذكر اسمه.

11 - حيث بلغت 1200 لدى الامام المقري في قواعده

12 - كما فعل كل من : تاج الدين السبكي : وجلال الدين السيوطي، وابن نجيم المصري، في كتبهم المسماة : « الأشباه والنظائر »

13 - كما فعل الامام شهاب الدين القرافي في كتابه المشهور بـ : « الفروق »

14 - مقدمة كتاب : « الفروق » للقرافي. ص 2،3

مراجع ومصادر

1 - كتاب « الفروق » للامام شهاب الدين القرافي. ج 1 ط دار المعرفة. بيروت. عار عن تاريخ الطبع

2 - « المدخل الفقهي العام » للدكتور مصطفى أحمد الزرقا. ج 2 مطبعة طربين. دمشق 1968

3 - « الاشباه والنظائر » لزين الدين ابراهيم بن نجيم المصري. تحقيق وتعليق عبد العزيز محمد الوكيل نشر مؤسسة الحلبي وشركائه. القاهرة. 1968.

4- « إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك » لابي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي. تحقيق أحمد بوطاهر الخطابي. مطبعة فضالة - المحمدية. المغرب 1980.

5 - « المدخل الفقهي وتاريخ التشريع الاسلامي » للدكاترة : عبد الرحمان الصابوني، وخليفة أبو بكر، ومحمود محمد طنطاوي، دار التوفيق النموذجية. مصر. ط 1، 1982.

6 - « نظرات في تاريخ المذهب المالكي » مقال للدكتور عمر الجيدي في مجلة دعوة الحق المغربية ع 232 س 1983. ص : 90

الإعلام التلفزي والتوعية الدينية

محمد بريش
مهندس الدولة
في الهندسة المدنية

« ... انه التغيير من الداخل الذي يمارسه الاعلام علينا صباح مساء، فيرسم في أذهاننا الصور التي يختارها، ويصنع لنا الاهتمامات التي يريدها، ويأخذنا الى المواقع التي يحددها، وتُسلب كل قدرة على المواجهة بالمثل الا قدرة التبعية والتلقي... » (1).

عمر عبيد حسنه

* * ** * *

أشرنا في مقالنا السابق حول غياب الترابط بين مادة التربية الاسلامية وبعض المواد المقررة في برامج التعليم الابتدائي والثانوي الى « أن انعدام العلاقة المتفاعلة بين التربية الاسلامية، كمادة يرجى من خلالها تكوين الفرد المسلم الصالح لمجتمعه، النافع لنفسه ولغيره، وباقي المواد المقررة في برنامج التعليم يجعل تدريسها دون المستوى المرغوب فيه، وتأثيرها دون النتائج المتوخاة، خاصة وان وسائل التربية خارج المدرسة من مسرح وتلفزة وسينما وإعلام مقروء ومسموع ومرئي في أغلبها بعيدة عن اهتمامات التلميذ الدينية وتساؤلاته الفطرية، وغير مؤهلة لتلقينه التربية الاسلامية لانشغالها بما سواها»(2).

ونريد في هذه الورقة أن نلقي نظرة على بعض الجوانب من الميدان الاعلامي التلفزي لنتبين مدى صحة ما قلناه، ولنتساءل عن حقيقة انشغال اغلب برامجه عن اهتمامات المواطن الدينية وتساؤلات الطفل الفطرية وعدم مواكبتها لما يلقن للتلميذ من دروس التربية فى المدرسة والثانوية، بل وتناقضها أحيانا مع اهداف تلك الدروس وعدم تكاملها في بعض الاوقات مع التكوين الديني للمواطن المسلم. كما اننا نسعى في هذا العرض أن نبرهن بنموذج حي على تناول البرامج التلفزيونية للاسلام كموضوع مستقل تخصص له أسبوعيا كل جمعة أو في بعض المناسبات الدينية دقائق معدودة، بدل أن يكون حاضرا يوميا وبشكل ملحوظ، حضورا يفوق حضور البرامج الرياضية أو الترفيهية، ويُبعد كل ما يتنافى مع الشريعة الاسلامية ومقاصد ديننا الحنيف.

لماذا الاعلام التلفزي؟

اقتصرنا على جهاز التلفزة دون وسائل الاعلام الاخرى لكونه جذابا من جهة، ومؤثرا في شخصية الفرد وسلوكه من جهة أخرى، علاوة على أن عددا من برامجه موجه أساسا لتسلية الاطفال (الرسوم المتحركة) ولتعليمهم (التلفزة المدرسية). وقد لا نحتاج الى دليل للبرهنة على ان برامج الجهاز التلفزي تساهم في التكوين التربوي والاجتماعي والعقائدي للافراد المتتبعين لها، خاصة منهم الاطفال. فلقد أكدت الدراسات النفسية، التي أجريت في عديد من المجتمعات الغربية والعربية حول تأثير التلفزة في تكوين الطفل تربية وسلوكا، على هذا الجذب المتفاعل بين التلفزة والاطفال في مختلف أعمارهم، وأوضحت بأن الطفل المعاصر يكتسب عاداته وتقاليده وقيمه وجميع التصرفات الاجتماعية المكونة لشخصيته من خلال مؤثرات أربعة : الأسرة، المدرسة، الاصدقاء، وسائل الاعلام وخاصة منها التلفزة.

ومما لاشك فيه، أن الاعلام التلفزيوني يساهم بنسبة كبيرة في نقل عادات وتقاليد المجتمع الى الطفل، نقلا لا تستطيع لا الاسرة ولا المدرسة أن تتحكما فيه. كما انه لوحظ من خلال دراسات أجراها باحثون اجتماعيون وتربويون وإعلاميون مختصون أن الاقبال على مشاهدة التلفزيون من طرف الاطفال في ازدياد مستمر مقارنة بوسائل الاعلام الاخرى. فقد اظهرت دراسة أجريت في مصر أن نسبة الاطفال الذين يقبلون على مشاهدة التلفزة بعد الانتهاء من مراجعة دروسهم تفوق نسبة الذين يقبلون على الوسائل الاعلامية الاخرى حيث « أوضحت الاجابة على السؤال : أين يذهب الابناء بعد الانتهاء من الاستذكار (مراجعة الدروس) ؟ ما يلي :

8 % يذهبون الى السينما،
31،8 % يستمعون الى الراديو،
35،4 % يلجأون الى القراءة،
25،9 % يلجأون الى الالعاب المختلفة،
82 % يشاهدون التلفزيون » [3].

اذا اضفنا الى ذلك ان جهاز التلفزة سهل الاستعمال وكيفية تشغيله في متناول الطفل من جهة، وان برامجه لا تحتاج الى معرفة القراءة كما هو الشأن بالنسبة للصحف [4] مع مصاحبة الموسيقى والالوان لمعظم تلك البرامج من جهة أخرى، أدركنا مدى تعلق الطفل بجهاز التلفزة وسرعة انجذابه اليه ابتداء من سن جد مبكرة (من سنتين أو ثلاث سنوات)، بل يلاحظ الآباء أن أطفالهم الذين لم يتجاوزوا السنة الاولى من عمرهم تستهويهم أفلام الاشهار وأغانيه، مما يدل على ارتباط الطفل بالتلفزة منذ نعومة اظفاره.

هذا بالنسبة للطفل، أما بالنسبة للفرد الراشد فلا جدال ان الاعلام ككل، والتلفزة على وجه الخصوص، يؤثر في شخصيته وتكوينه الاجتماعي والثقافي بحكم كونه وسيلة رئيسية لنقل وتوصيل المعلومات والاخبار له، ولكونه مساهما في تشكيل وتكوين افكاره وآرائه، ومسليا له في اوقات فراغه. « ففي دراسة أجريت عام 1979 في كندا عن المناطق التي كانت معزولة في شمال كندا، وبعد ادخال الارسال التلفزيوني اليها، اتضح ان التلفزيون قد اسرع بنقل البناء الثقافي والقيمي الاوروبي - الكندي الى المراهقين في هذه المناطق المخدومة حديثا بالارسال التلفزيوني، مما ادى الى زيادة الهوة الثقافية بين هؤلاء المراهقين وآبائهم الاكثر تمسكا بتقاليدهم » [5].

كما ان مكوث الفرد، طفلا أو راشدا، أمام التلفزة بمعدل من الوقت يزيد على الساعتين في اليوم، يجعل من الجهاز التلفزي أداة ذات تأثير شديد ومستمر على شخصية الفرد وتكوينه الثقافي والاجتماعي والسياسي [6].

والمطلع على ثقافة أهل الشمال المغربي مثلا يلاحظ أنها متأثرة بالثقافة الاسبانية، بحكم الاستعمار الاسباني السابق لأراضي الشمال من جهة، وبفعل الغزو التلفزي الاسباني من جهة أخرى، والذي لجدية بعض برامجه وتنوعها وذكاء المخرجين في كيفية عرضها تفضل على ما يعرضه جهازنا الوطني من برامج منحصرة في أكثرها بين الانتاج المصري - الخليجي والانتاج الأمريكي - الأوروبي. وليس أدل على ذلك من معرفة بعض الأطفال بطنجة أو تطوان أو الحسيمة أو الناضور لأسماء لاعبي كرة القدم الاسبان فردا فردا، مع تحديد الفريق الذي هم منضمون إليه وعدد انهزاماته الاخيرة وانتصاراته ! بل إنك لتجول في أسواق هذه المدن، فتجد بائع الدكان الصغير متابعا لبرامج التلفزة الاسبانية بشوق وانتباه مبهورا بنصاعة الالوان وحسن الاخراج وتنوع المواد، كما تجده يفهم الكلام بالاسبانية دون سابق دراسة لها أو احتكاك متواصل بأهلها، وإنما تعلمها في الغالب من متابعته المتواصلة لبرامج قناتي التلفزة الاسبانية.

إذن، فقد تبين لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن من أوجب واجبات إعلامنا التلفزي أن ينقل للمواطنين، خاصة منهم الاطفال، عادات وتقاليد ومعارف هي من صميم شريعتنا الاسلامية وهويتنا العربية. لكن الملاحظ أن البرامج يطغى عليها الطابع الغربي والاهتمام بما هو أجنبي مع تهميش الانتاج الوطني، وهذا ما سنلاحظه عن كثب من خلال تتبعنا للعينة التي اخترناها من بين برامج تلفزتنا الوطنية مع العلم أن غايتنا الاولى هي « التنقيب » عما هو ديني في هذه البرامج.

وقبل التطرق لملاحظاتنا حول الاعلام التلفزي واقتراحاتنا لتطويره اسلاميا، فإننا سنتطرق أول الامر الى بسط وعرض المنهجية التي اعتمدناها للوصول الى تلك الملاحظات، ونذكر العينة التي اخترناها لتسليط الضوء على الجانب الديني في تلفزتنا الوطنية.

منهجية البحث

تجدر الاشارة الى أن النظرة البسيطة التي القيناها على برامج التلفزة ببلدنا لابراز ضعف دورها في التوعية الدينية، وقصورها عن تربية الفرد تربية اسلامية، قد قمنا بها وقت اجازتنا السنوية، ولم يكن لدينا الوقت الكافي، مع افتقارنا الى التخصص في الميدان والى أدوات البحث والتحليل للقيام بدراسة عينة من المجتمع واستنتاج ملاحظاتها حول هذه البرامج، ومدى تأثرها سلبا أو ايجابا بما تحمله فقراتها من معلومات ونظريات وافكار، ومدى انعكاس ذلك على معرفة هذه العينة بالدين ووعيها بشرعه السليم.

لذلك فاننا تعاملنا مع التلفزة كمواطنين يتابعون برامجها وانتاجاتها رغبة في سماع الاخبار والاستفادة من مختلف الاشرطة للتثقيف وتنوير الفكر بالنسبة لبعضها، وللتسلية وملء أوقات الفراغ بالنسبة للبعض الآخر، هذا من جهة، ومن جهة كآباء حريصين على ان تساهم التلفزة في مساعدة اطفالهم على التعرف على شريعة الاسلام والاستمساك بها، والتخلق بالخلق الحسن، وتكريم الانسان والرأف بالنبات والحيوان وحب الوطن. ورأينا ضمن شروط تعاملنا هذا أن نخصص أسبوعا كاملا للتعرف على اعلامنا التلفزي من خلال برامجه اليومية بمختلف أبوابها وتقلباتها الاسبوعية.

واعتمدنا لمعرفة برامج التلفزة في الاسبوع الذي اخترناه على قائمة البرامج الاسبوعية التي تنشرها الجرائد الوطنية، مع استفادتنا من قائمة برامج اليوم والغد المعلنة في بداية وآخر البث التلفزي اليومي، ومن تتبعنا لمعظم مواضيعها قصد ابداء ملاحظاتنا حولها ودراسة الجانب الديني فيها.

وكم كان بودنا أن نجعل من الاسبوع أسبوعين أو شهرا، أو أسبوعا عن كل شهر، أو شهرا عن كل فصل، حتى تكون ملاحظاتنا واستنتاجاتنا أقرب الى الواقع، وتكسب من الصحة ما يجعلها مقبولة

المضمون سليمة النتائج. لكن أوقات الفراغ للانكباب على مثل هذه الدراسة بالمكوث أمام التلفزة يوميا ومتابعة برامجها متابعة المستمتع بها رغبة في تحليلها ونقدها لا تتكرر كل شهر أو كل فصل، كما أننا لا نرغب في اجراء بحث أكاديمي، وانما أردنا أن يكون كلامنا موثقا ومعتمدا على نتائج ملموسة رغم بساطتها وعدم تفصيلها لمختلف وجهات النظر السائدة لدى المواطنين حول برامج التلفزيون.

ولا يخامرنا شك في أن الاهتمام بمشاكل المواطنين، واخبارهم بما يجري داخل بلدهم وخارجه، وتنوير رأيهم حول قضاياهم المصيرية وقضايا الشعوب العربية والاسلامية هو من صميم مقاصد الشريعة الاسلامية، إلا أننا خلال تقويمنا لما هو ديني في برامج البث التلفزي، أخذنا بعين الاعتبار في هذا الباب المواضيع المتعلقة بالتوعية الدينية والتربية الاسلامية شريعة وثقافة واخلاقا، والتي لها أثرها المباشر في تنوير الفكر الاسلامي لدى الافراد وحثهم على التمسك بمبادىء الاسلام ومكارم الاخلاق.

وتجنبنا الحكم على محتوى البرامج الدينية والقول بأن مواضيعها جيدة أو حسنة أو متوسطة أو ناقصة، فكل ما يمكن أن يقوله فرد واحد يعد قولا نسبيا وتعبيرا عن وجهة نظر جد شخصية، وحسبنا في هذه الدراسة حرصنا على الدقة في التتبع والوصف، والانصاف في الاستنباط والحكم.

من أجل ذلك، اعتمدنا في بحثنا على أدوات وعوامل تقنية بحثة قبل الادلاء بالملاحظات وتقديم الاقتراحات، ورأينا أن نصنف البرامج حسب الابواب التي تقدمها مصالح التلفزة حين عرض برامجها. أما المقياس الذي اخترناه للمقارنة والتحليل فهو وقت البث ووحدة القياس فيه هي الدقيقة، على أن نتعامل في الاخير مع نسبة وقت كل برنامج الى مجموع وقت البث الاسبوعي.

وانطلقنا في بحثنا من كون مهام اعلامنا التلفزي تتمحور حول النقط التالية :

1 ـ السهر على اسلامية المغرب،
2 ـ المساهمة في دستورية المغرب،
3 ـ الدفاع عن وحدة المغرب.

واذا كانت تلفزتنا قد وفت المحور الاخير حقه في مدافعتها الصارمة على وحدتنا الترابية، وتتبعها لتطور قضية الصحراء المغربية في المحافل الدولية، وتنوير الرأي العام الوطني والدولي حول حيثياتها، وفضح تلاعبات الخصوم في ملفها بسعيهم للمزيد من تمزيق الشعوب العربية والاسلامية، ومحاولتهم انشاء مسرح كراكيز على الصعيد الدولي بطلته جمهوريتهم الورقية، كما تطمح الى بذل جهود ملموسة قصد تنفيذ مهام المحور الثاني، فإنها ما زالت بعيدة عن الوفاء اللازم للمحور الاول بتناولها للمواضيع الاسلامية بصفة مستقلة عن البرامج الاخرى، وحصر بث معظمها في يوم الجمعة والمناسبات الدينية، باستثناء حصة القرآن الكريم اليومية، علاوة على ما تحمله فقرات بعض البرامج من تقاليد غربية وتصرفات لا أخلاقية تتعارض وأحكام شريعتنا الاسلامية وتصرفاتنا الاجتماعية.

أما الاسبوع الذي وقع عليه اختيارنا فيبدأ يوم الاثنين 5 محرم 1405 موافق فاتح أكتوبر 1984 وينتهي يوم الاحد 11 محرم 1405 موافق 7 اكتوبر 1984، ولم يكن اختيارنا له عن قصد أو سابق تخمين، وانما حدث أن اطلعنا على جرائدنا الوطنية وتلفزتنا المغربية بمناسبة حلول السنة الهجرية فهالنا ضعف الاهتمام بها، وبرودة المقالات أو البرامج التي تناولتها، تناولا لا يتناسب مع مقام تلك الذكرى الجليلة ومدى ما حققته من ثورة وانتصار وخروج من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والايمان، فكان ذلك هو الدافع للشروع في هذه الدراسة ابتداء من الاسبوع الاول الذي يلي هذه الذكرى مغتنمين تفرغنا وقت إجازتنا السنوية.

وقد امتاز الاسبوع، ولعل ذلك من حسن الصدف، باحتوائه على عدد من المناسبات والاحتفالات الوطنية والدولية والدينية، وهي كالآتي :

ـــ اليوم العالمي للطفل، وهو يوم الاثنين 5 محرم 1405 موافق فاتح اكتوبر 1984، فلقد اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في 31 دجنبر 1976 قرارا يقضي باعلان سنة 1979 سنة دولية للطفل واعتبار يوم الاثنين الاول من كل شهر اكتوبر يوما عالميا للاطفال، وسنشير فى هذا البحث الى العناية أو اللامبالاة التي قوبل بها هذا اليوم.

ـــ موعد الاقتراع غير المباشر لانتخاب باقي أعضاء مجلس النواب، وهو يوم الثلاثاء 6 محرم 1405 موافق 2 اكتوبر 1984، ولا يسعنا إلا أن نحيي إعلامنا التلفزي على تتبعه لعمليات إرساء قواعد الديمقراطية على أرض الوطن وتغطيته لها، ونقله لبعض الانتقادات التي صاحبتها حرصا على سلامتها ومساهمة في نزاهتها.

ـــ يوم عاشوراء، وهو يوم السبت 10 محرم 1405 موافق 6 اكتوبر 1984، ويكفي هذا اليوم جلالة وتعظيما أن خصه رسول الامة محمد صلى الله عليه وسلم بأحاديث عديدة نذكر منها حديثين :

° الاول عن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء صام، ومن شاء فليفطر » متفق عليه.

° الثاني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر سنته »، رواه البيهقي في الشعب، وابن عبد البر.

وتناست تلفزتنا هذا اليوم، فلم تشر له بشيء، وانشغلت عنه بعمر الشريف، وطريق الفلامينكو، وعايز جواباتك، وتناقضات تلفزة ثلاثة !...

المعطيات والنتائج

إن النظرة السريعة للجداول والرسوم البيانية المتعلقة ببرامج أيام الاسبوع التي يمكن للقارىء أن يطلع عليها بعده، تبرز بوضوح، ضعف البرامج الدينية من جهة، وهيمنة الانتاج الغربي من جهة أخرى. فمن خلال تصفحنا لبرامج الاسبوع، بعد تصنيف مواضيعها وابراز مدة كل منها مع الاشارة الى نسبتها مقارنة بمجموع أوقات البث ووطنية انتاجها أو عدمه، يتبين لنا هزال البرامج الدينية وضآلة الانتاج الوطني، رغم تناولنا للموضوع من وجهة نظر تقنية بحثة دون الخوض في محتوى تلك البرامج الدينية وفحوى موضوعات ذلك الانتاج الوطني.

ومما يثير الانتباه أن مدة الاشهار غير مشار اليها في الجداول، لانه كما سبق القول حين عرضنا لمنهجية البحث، أشرنا الى أننا

سنعتمدعلى قائمة البرامج الرسمية المعلنة من طرف ادارة التلفزة نفسها والمنشورة بالجرائد الوطنية أو المعروضة في بداية وآخر كل بث تلفزيوني يومي. لكن من خلال مراقبتنا وتتبعنا للبرامج طيلة الاسبوع لا حظنا أن مدة الاشهار تتراوح بين 14 و 18 دقيقة أي بمعدل 16 دقيقة في اليوم، اذ تعرض التلفزة ما بين 27 و 30 شريطا اشهاريا يوميا (7)، أي ما يزيد على ثلاثة أضعاف الحصة القرآنية المقدمة في افتتاح أو اختتام الفترة اليومية من البث التلفزي.

وتجدر الاشارة الى أننا حين تقويمنا لنسبتي الانتاج الوطني والانتاج الاجنبي، استثنينا من الحساب الحصة القرآنية، لان القرآن الكريم كلام الله جل علاه، فأن يرتله أو يجوده مقرىء من المشرق أو مقرىء من المغرب في نظرنا ونظر المسلمين سيان، لان الغاية أن يتقن المقرىء الترتيل أو التجويد حسب القواعد المنصوص عليها لتلاوة القرآن الكريم، وأن يكون سليم اللسان حتى يفعل القرآن فعله ويترك في النفوس أثره.

ونتائج الاسبوع الذي اخترناه لا تختلف عن باقي الاسابيع إلا قليلا، فالقرآن الكريم يعرض دائما في نفس المدة مع نقصان أو زيادة طفيفين، والبرامج الدينية لا تكاد تخرج عن يوم الجمعة باستثناء شهر رمضان وأيام الاعياد الاسلامية (8).

أما معدل نتائج الاسبوع، فانه يبرز بوضوح أن أضعف حصة هي حصة البرامج الدينية.

— القرآن الكريم : 3،34 % أي ثلث العُشْر من مدة البث الاسبوعي،

— البرامج الدينية : 2،87 % أي فوق ربع العُشْر بقليل، وكلها يوم الجمعة،

— الرسوم المتحركة : 12،90 % أي فوق ثُمن مدة البث بقليل، وكلها مستوردة،

— الاخبار : 19،82 % أي ما يقارب خُمس وقت البث،

— البرامج الرياضية : 3،34 % أي بالتساوي مع حصة القرآن الكريم (9)،

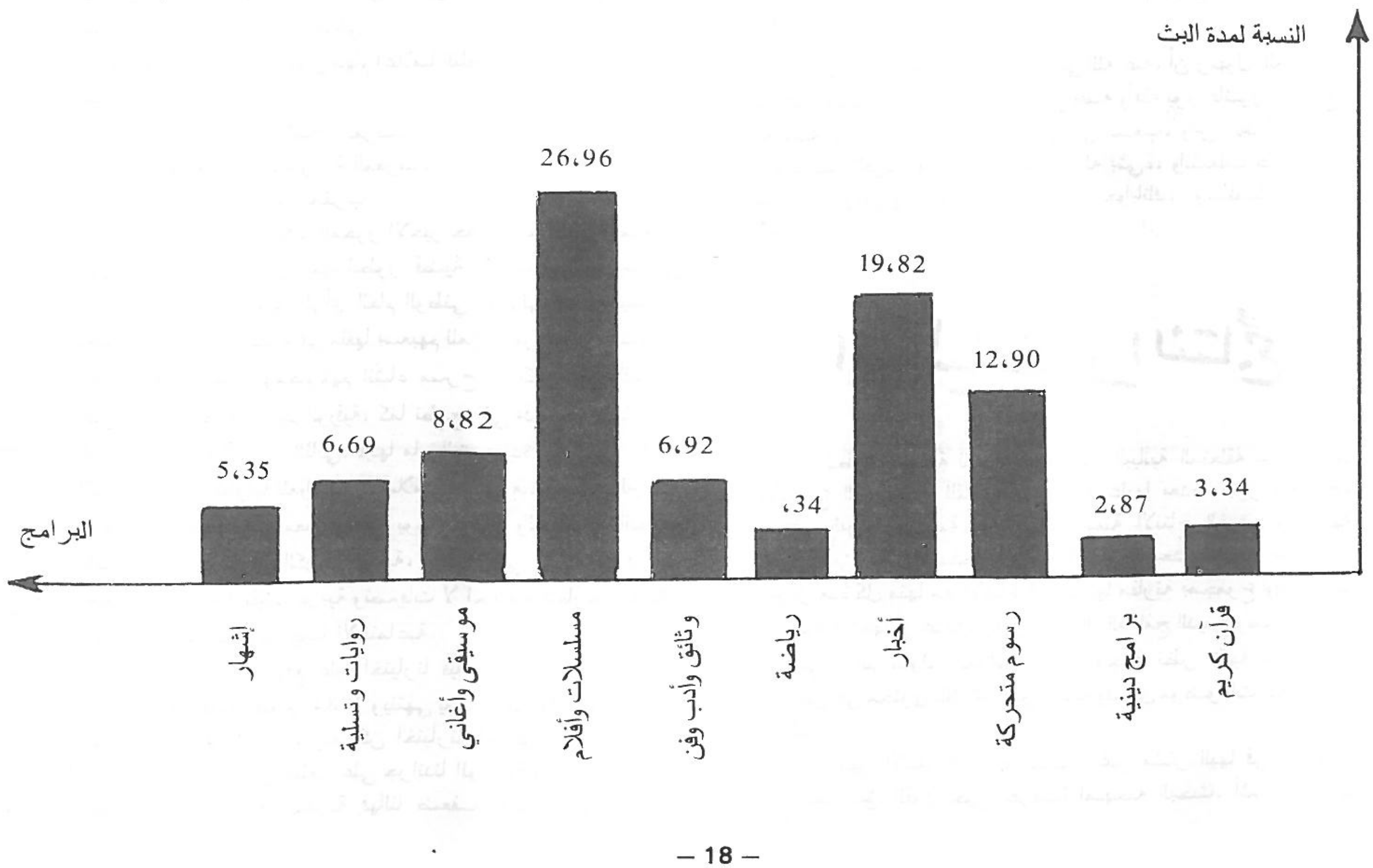
— برنامج وثائقي أو أدبي أو فني : 6،92 % أي ما يزيد على نصف الثمن من مدة البث بقليل،

— مسلسلات وأفلام : 26،96 % أي ما يزيد قليلا على رُبع مدة البث، وكلها مستوردة،

— موسيقى وأغاني : 8،82 % أي فوق نصف السدس من مدة البث،

— روايات وبرامج تسلية : 6،69 % أي ما يقارب نصف الثمن من مدة البث،

— الاشهار : 5،35 % أي ما يزيد على نصف العُشْر من مدة البث (10)،



الملاحظات والإقتراحات

ارتأينا حين شروعنا في دراسة برامج الاسبوع التلفزي الذي اخترناه كعينة للنشاط التلفزي الوطني أن لا نتطرق لها برنامجا برنامجا، وانما اكتفينا بابداء بعض الملاحظات حول ما جاء فيها وما تحتويه فقراتها، لان الغاية ليست دراسة برامج اسبوع بعينه بقدر ما هي دراستها كنموذج حي للبث التلفزي اليومي من خلال تقلباته طيلة أيام الاسبوع، مع اجتهادنا في الادلاء ببعض الاقتراحات قصد بلورة وتطوير البرامج المعروضة، تطويرا يجعل النشاط التلفزي يصبو لكي يكتسي طابعا اسلاميا، ويساهم في الرفع من مستوى الإنتاج وطنيا وعربيا، فان أصبنا فللمجتهد أجران، وان أخطأنا فأجر الاهتمام بديننا والانشغال بقضايا بلدنا.

أما المحاور التي ستدور عليها ملاحظاتنا واقتراحاتنا فهي كالتالي :

1 ـ خلو حصة القرآن الكريم من التفسير وضآلة البرامج الدينية،

2 ـ ضعف الانتاج الوطني وهيمنة الانتاج الغربي،

3 ـ فقرات تتنافى مع شريعتنا الاسلامية وأصالتنا العربية.

خلو حصة القرآن من التفسير

خلافا للاذاعة التي تخصص ثلاث فقرات يومية للقرآن الكريم [11]، اثنتان منهن مطولتان مع تفسير ميسر لما رتل من الآيات البيّات، فان التلفزة تكتفي بافتتاح برامجها واختتامها بعشر دقائق من القرآن الكريم خالية من كل تفسير لما تضمنته الآيات المرتلة من أحكام، وما تحتويه من إعجاز وبيان.

فإذا علمنا أن معدل الأمية جد مرتفع ببلادنا، خاصة بالعالم القروي [12]، الذي يفتقر الى وسائل الاعلام الأخرى باستثناء الاذاعة، وان الذين يستطيعون فهم القرآن بمجرد السماع يكادون يعدون على اصابع الأيدي نظرا لتفشي الجهل باللغة العربية وقواعدها، ادركنا ضرورة ارفاق الحصة القرآنية بتفسير مبسط وميسر كما هو الشأن بالاذاعة الوطنية.

ورأينا أن القائمين على مصلحة البرامج بتلفزتنا الوطنية لا يهدفون من خلال الحصة القرآنية الى « التعوذ » مما تحتويه فقرات بعض البرامج من هفوات، وانما يقصدون تثقيف المواطنين وتطهير قلوبهم بكلام ربهم، والرفع من ايمانهم وتقوية اسلامهم، وبالتالي فارفاقها بحصة من التفسير أمر ضروري حتى تؤدي الحصة القرآنية أكلها وتترك في القلوب أثرها.

والغريب أنه لدينا من العلماء بالمجالس العلمية وغيرها ما نستطيع أن نحقق به برامج شيقة لتفسير القرآن الكريم، أو القاء الضوء على حكمه واعجازه وبيانه، تصاحبها صور تدل على عظمة الله فى الكون، وكمال صنعه في الخلق، لكن الذي ينقصنا هو العزم على إعداد هذه البرامج والتفكير في انجازها. وليس من الضروري أن تحتوي حصة القرآن الكريم الخاتمة للبرامج على تفسير، وانما يمكن الاكتفاء بتجنيد طاقات علمائنا وفقهائنا وفنيينا كي تشمل الحصة الاولى الربع من الحزب من كتاب الله عز وجل ترتيلا أو تجويدا وتفسيرا، يتنافس في اعداد حلقاتها نخبة من علماء المجالس العلمية، أو ثلة من المثقفين المتخصصين في العلوم القرآنية والدراسات الاسلامية، « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » [13]، أما مدة الحصة فقد تتراوح ما بين 30 و 45 دقيقة، وأملنا كبير في أن يعكف المسؤولون على سد هذه الثغرة بالتلفزة كما فعلوا مشكورين منذ سنوات بالاذاعة.

والمثير للعجب أن تسمع سواء بالاذاعة أو بالتلفزة من طرف المذيع قبل البدء في عرض الحصة القرآنية هذه الكلمات : « ... نتبرك واياكم بآيات من الذكر الحكيم... »، كأنما القرآن الغاية من ترتيله التبرك فقط، ولا تسمع ولو مرة واحدة : « نتدبر واياكم... » أو « نعيش واياكم مع توجيهات كتاب الله عز وجل... »... فالكلمات تصدر من لاشعورنا عن غير قصد لتدل على اثر ثقافة عصور الانحطاط فينا، ولتبرز أن مفهومنا الأول للقرآن الكريم هو التبرك، أما التدبر والذكرى فمن الملحقات ! وهو أمر لا تختص به الاذاعة والتلفزة، وانما نكاد جميعا نجمع على ذلك، إلا من اتاه الله بسطة في العلم والفقه. وإضافة حصة التفسير ستجعل من التدبر امرا واقعا، ومن التذكير فعلا قائما، وستبعد عن الاستمتاع بالقرآن الكريم انحصاره في التبرك.

كما ان حصص القرآن الكريم بصفة خاصة، وبرامج الثقافة الاسلامية بصفة عامة، وتثقيف المواطن العربي بصفة أعم، أمر يقتضي العمل على ادراج برامج خاصة بتعليم اللغة العربية وشرح قواعدها وابراز فصاحتها وبيانها وكيفية النطق بها، فكم تدرج بالتلفزة من برامج لتعليم اللغة الفرنسية وتعليم اللغة الانجليزية تحت عنوان : « التلفزة المدرسية »، ولم نسمع الا نادرا ومنذ سنوات عن برامج خاصة بتعليم اللغة العربية وقواعدها النحوية ! ولن نبالغ اذا قلنا أن البرامج من هذا النوع لا تحتاج الى جهد شاق في الاخراج، أو كبير اعتمادات في النفقة، خاصة وأننا اليوم أصبحنا نتوفر على أطر كفؤة في ميدان اللغة واللسانيات، ولا ينقصنا إلا التعريف والاهتمام بنتاجها ودعوتها واستشارتها والاستفادة من خبرتها. فأمثال هذه البرامج التي لن تتجاوز مدتها 30 دقيقة بمعدل ثلاث مرات في الاسبوع مثلا، اذا ما بثت قبل الاخبار الرئيسية وبعد برامج الاطفال سيستفيد منها لا محالة الطفل والراشد على السواء، وستحقق الغاية المرجوة والنتيجة المتوخاة، وستساعد على استيعاب المواطن للحصة القرآنية، وتساهم في تربية الفرد تربية اسلامية.

ومن غرائب الأمور أن التلفزة الفرنسية، بعد أن أحس القائمون عليها باهتمام عديد من الكتاب والمثقفين وشباب الشعوب الغربية بالاسلام، رأت أن تعرف الجمهور الفرنسي، على طريقتها، بهذا الدين وبكتابه المبين، وأنجزت أشرطة حول الاسلام والقرآن استدعت لانجازها عددا من المستشرقين والمثقفين المهتمين بالدراسات القرآنية. فما كان من تلفزتنا، التي طبعت على الاقتباس من الغرب، إلا أن أتحفتنا في ليلة الجمعة 8 صفر 1405 هـ موافق 2 نوفمبر 1984 بـريط منها حول تفسير الطبري ليسترشد به جمهور مغربي لا يتجاوز العارفون للغة الفرنسية به الخمس من مجموع السكان [14]!

وهنا نتساءل : كيف لا نستحيي من الاتكال والاعتماد على الغرب في كل شيء، حتى في أمور ديننا وتعريفنا بكتاب الله جل علاه ونحن أسبق من الغرب في معرفته والايمان به ؟ كيف لا نخجل من الاكتفاء في التفسير بعرض شريط يتكلم عن القرآن، لشعب ينتمي لأمة القرآن، بلغة غير لغة القرآن ؟ ثم لماذا الانحياز للانتاج الفرنسي، هل البرامج الجيدة لابد أن تكون مختومة بباريس من طرف القناة الاولى الفرنسية ؟ لماذا لا نتعامل مع الدول الاسلامية والمنظمات الاسلامية التي انجزت عددا هاما من البرامج الشيقة عن الاسلام وعن القرآن

وتعاليم القرآن بالمشرق العربي والخليج العربي ؟ لماذا لا نطلب هذه البرامج ونسعى في اقتنائها أو نعد برامج وطنية ومحلية للتعريف بديننا وشرح القرآن الكريم لمواطنينا ؟ أفلا يبعث هذا الاهتمام بالقرآن من طرف دولة غربية لا تؤمن بالقرآن - على طريقتها طبعا، لكن حسبها أنها أقدمت على ذلك قصد التعريف به لدى جمهور يجهله في الغالب - ألا يبعث ذلك على الغيرة عند مخرجينا وسينمائيينا فيكثفوا الجهود مع العلماء المسلمين والمثقفين المتخصصين لاعداد أشرطة تعرف بالقرآن، وتفسر القرآن، وتبرز احكام القرآن، وفضائل القرآن، واعجاز القرآن، وبلاغة القرآن، وتحث على التمسك بشريعة القرآن، وأخلاق القرآن، لشعب يؤمن بالقرآن، ويقرأ القرآن ؟

ثم ان الشريط الفرنسي السابق ذكره، لم يخضع لتشريح من طرف المتخصصين في الدراسات الاسلامية والقرآنية من الأمة الاسلامية، والامر يتعلق بكلام الله، ولابد فيه من التمحيص والتدقيق ! ورغم أنه فاتنا أن نسجل ملاحظاتنا حوله في حينها، فانه من غير المسلم به الرضى عن كل ما جاء في الشريط وقد اعدته أجهزة غير اسلامية، لخدمة ثقافة استشراقية.

ضآلة البرامج الدينية

من خلال تصفحنا لبرامج الاسبوع الذي اخترناه والمشار اليها بالملحق، واطلاعنا على الرسم البياني الخاص بالنسب، نلاحظ وبوضوح ضآلة البرامج الدينية وانحصارها بأتمها في يوم الجمعة باستثناء الحصة القرآنية اليومية. والمتتبع لبرامج تلفزتنا الوطنية يعلم أن باقي الاسابيع، سواء منها السابقة أو اللاحقة، لا تكاد تختلف في هذا الباب عن اسبوعنا النموذجي إلا أيام رمضان والأعياد الدينية. فيوم الجمعة هو اليوم الوحيد في الاسبوع العادي نسمع فيه عن الدين وعن الفتاوي والقصص القرآنية رغم ما تحتويه أحيانا بعض البرامج من الأغاني والمقولات الموصوفة بالدينية، وليس لها من الدين الا الاسم.

كما انه اضافة الى ضآلة الوقت المخصص للبرامج الدينية، هناك ضيق وعدم سعة في أفق تلك البرامج ومحتواها [15]، فهي تتكلم عن قصص الانبياء أو الأيام الأولى للدعوة الاسلامية ومحاربة قريش للنبي عليه الصلاة والسلام - وهو أمر ضروري لتثقيف كل مسلم - ولكن لا تتعداه بأن تتكلم عن الاسلام اليوم وما تقاسيه بعض الاقليات الاسلامية من اضطهاد، وما تعرفه بعض الشعوب الاسلامية من الغزو الاستعماري، وما يعيشه اليوم العالم الاسلامي من تمزيق وتفرقة، وما تشهده بعض البلدان الافريقية المسلمة من عمليات التبشير والتنصير، وما تواجهه جالياتنا خارج الوطن، والسكان المغاربة بسبتة ومليلية السليبتين من غزو عقائدي، وما يخضع له مواطنونا المحتجزون بتندوف من عمليات التمركس، كل ذلك بُعد عن البرامج الدينية المعروضة بُعد السماء عن الأرض !

أين برامج تلفزتنا من التعريف بالعلماء سواء منهم أعضاء المجالس العلمية أو المشرفين على الدراسات الاسلامية أو المنكبين على الدعوة الاسلامية بالمساجد والدور الثقافية ؟ فأغلب الفئات الشعبية من مواطنينا تعرف الكثير عن المطربين والمطربات والممثلين والممثلات المغاربة والمشارقة، وتعلم آخر انتاجاتهم وأحدث أغانيهم مهما حمل بعضها من خلاعة وقلة حياء عن طريق الاذاعة والتلفزة، ولا تكاد تعرف شيئا عن العلماء والمثقفين والأدباء والمفكرين المسلمين وطنيين وغير وطنيين، بل لم تتحفنا التلفزة حتى بالدقائق المعدودة تعرفنا فيها برئيس رابطة علماء المغرب الذي على ما يبدو يعرفه أهل المشرق أكثر مما يعرفه أهل المغرب، وقس على ذلك أغلب أعلام الثقافة الاسلامية والأدبية والفكرية ببلدنا..

وليست الغاية ان يلقي العالم أو الفقيه موعظة دينية، ولكن اجراء الحديث معه والتعريف به وبمؤلفاته ودوره في تنوير الرأي الاسلامي ومساهمته في تقوية جريان دم الاسلام في بلدنا على الخصوص وجسد الامة الاسلامية على وجه العموم للتأكيد على اسلامية هذا البلد الطيب والرفع من مستوى الثقافة والفكر فيه، أمر ضروري إسلاميا ووطنيا.

ثم أين برامج تلفزتنا الدينية من التعريف بجامعة القرويين ودورها التاريخي في نشر الاسلام بالمغرب وبالعالم الاسلامي، ودار الحديث الحسنية، ومدارس التعليم الاصيلة التي كانت حصنا منيعا للثقافة الاسلامية والوطنية إبان الاستعمار وسهرت على نشر تعاليم الاسلام في مواجهة حملات التبشير والتنصير ؟ كم من أعلام الأمة الاسلامية أنجبتهم البلاد المغربية أو دفنوا بها مثل العلامة ابن خلدون والامام القاضي عياض والامام أبو بكر ابن العربي وغيرهم ممن لم تكتشفهم بعد التلفزة ؟ وكم من أعلام في الفقه والقضاء وشتى المعارف ينتمون الى سبتة ومليلية والصحراء المغربية نسيهم انتاج أهل المشرق فعمي عنهم انتاج أهل المغرب ؟ لماذا لا تسلط عليهم الأضواء للتأكيد على انتماء تلك الأراضي تاريخا ودينا للامة الاسلامية والدولة المغربية ؟

ثم نحن اليوم نسعى للحفاظ على وحدة المذهب، فأين إعلامنا التلفزي من هذه المسألة ؟

إن الأمر حسب رأينا، يقتضي ثلاثة أشياء، للاعلام فيها دور بارز :

1 - التعريف بالمذهب وصاحبه، وهذا يقتضي التعريف بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجتهاد صحابته رضوان الله عليهم وجهود الائمة الفقهاء وجمهور المحدثين والمجتهدين وعلى رأسهم الامام مالك.

2 - الدعوة الى الاستمساك به، وهذا يقتضي العمل بما ينص عليه الدين ويحث عليه الشرع واستخدام الوسائل الاعلامية المتوفرة في سبيل توجيه الناس إليه.

3 - الاجتهاد في بلورته وتطوره، وهذا يقتضي الاجتهاد في ما لم يتطرق له فقهاء المالكية وأئمة ذلك العصر من مشاكل وقضايا معاصرة نحياها ونعيشها، وفتح المجال بإذاعتنا وتلفزتنا للعلماء والمثقفين لطرح هذه المشاكل المعاصرة وابراز كيفية تناولها وحكم الشرع فيها.

فأين تلفزتنا من هذه الامور ؟ هل اطلعتم على برنامج تلفزي يعرف باعلام الفقه المالكي ومؤلفاتهم ومواقفهم وحرصهم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ هل سمعتم بشريط يعرض موطأ الامام مالك فيشرحه حديثا حديثا أو يعطينا نبذة وتلخيصا لما تضمنه من أحكام ؟ فمنذ أن أتحفتنا التلفزة بشريط شرقي في حلقتين عن حياة الامام مالك منذ ما يقرب من سنتين لم نسمع عن أعلام المالكية وغيرهم من أعلام الأمة الاسلامية إلا الشيء النادر، مع أنها بالغت في التعريف بالكاتب والأديب الفرنسي الشهير أندري مالرو الذي خصصت له حتى وقت كتابتنا هذه السطور ست حلقات متتالية أسبوعيا، أي طيلة شهر ونصف تقريبا، وقد كان الأولى أن يدفعها اهتمام فرنسا بأدبائها وكتابها إلى سلوك نفس الطريق، وحافزا لها لتسليط الأضواء على العلماء والأدباء والكتاب بالمغرب بصفة خاصة، وبالبلدان العربية والاسلامية بصفة عامة !

لا نظن أن الامكانيات لاعداد مثل هذه البرامج غير متوفرة، فمصالح وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، والمجالس العلمية، والجمعيات الاسلامية، والكليات والمعاهد الاجتماعية والادبية، لن تبخل على الاذاعة والتلفزة بوقتها وأجهزتها وأطرها لمد يد المساعدة بغية تحقيق واعداد هذه البرامج، ولكن الذي ينقصنا في هذا الميدان هو التخطيط لمثل هذه القضايا والتفكير في انجازها قصد تعريف جيلنا الصاعد

بتاريخ أمته وبلده، وما لقيه الأسلاف من بلايا ومحن مع جيوش الكفر والاستعمار، فما وهنوا لما أصابهم وما استكانوا حتى انتصروا أو استشهدوا في سبيل أن تظل كلمة الله هي العليا، وأن يندثر الفساد ويسود العدل والحرية في البلاد.

ومن الملاحظ أن أسبوعنا النموذجي يقع في النصف الأول من شهر الله الحرام محرم 1405، ومن ضمن أيامه يوم عاشوراء الذي أشرنا الى بعض فضائله في بداية هذا البحث. وبدل أن تبذل التلفزة نوعا من الجهد في الحث على الصوم في ذلك الشهر، والحث على الاكثار من العبادة فيه، ودعوة المواطنين الواجبة في حقهم الزكاة الى الامتثال لاوامر ربهم جل علاه، وشرح كيفية إخراجها والمستحقين لها، شغلت عن ذلك كله بحماقات طريق الفلامينكو، وسخافات تلفزة 3، إلا بعض الفتاوي المتعلقة بالزكاة تضمنها الربع ساعة المخصص لركن المفتي يوم الجمعة !

أما الافلام «الدينية» التي تعرضها تلفزتنا، علاوة على أنها كلها مستوردة [16]، فإنه ينقصها الإعداد العلمي والفني اللازمان لجعل الشريط السينمائي مقبولا ومشوقا محتوى وشكلا، إذ الملاحظ في الافلام الغربية الجيدة أن يكون لكل منها مستشار علمي أو أكثر في المجالات والتخصصات التالية :

1 ـ تصوير واختيار مشاهد البيئة الطبيعية،
2 ـ اختيار الملابس وأدوات الحياة اليومية،
3 ـ تحديد العمارة السكنية : دور، قصور، معابد، حصون...،
4 ـ تحديد الاسلحة : سيوف، دروع، رماح، مجانيق...،
5 ـ تحديد الموسيقى اللازمة لبعض المشاهد،
6 ـ تحديد المادة العلمية المصورة للعصر...

لكن الأفلام المنتجة في الميدان الديني على الصعيد العربي والتي تتحفنا ببعضها تلفزتنا من جمعة لأخرى، كثيرا ما تتجاهل هذه القواعد ويأتي تصوير البيئات مختلفا عن الواقع التاريخي [17]، ثم هي تختلف من شريط لآخر مما يوقع المشاهد في حيرة، هذا بغض النظر عن الدراما المسرحية المفتعلة في هذه الأشرطة وتغليب الجانب الخيالي على الجانب الواقعي.

وفي أكثر من مسلسل من المسلسلات التلفزية الغربية. مثل مسلسل «المنزل الصغير» مثلا الذي سنتطرق له عند كلامنا عن برامج الاطفال، تعرض أساليب الحياة المسيحية وكأنها تأتي عرضا في الفيلم، ومرتبطة بحياة بطل من ابطاله. « وأحيانا يلجأ المخرج الى إبراز دور رجل الدين الايجابي وبخاصة في الحياة التقليدية : قرية صغيرة، أو بين مهاجرين الى منطقة جديدة. وأحيانا في حياة المدينة : رجل الدين في المستشفى أو دوره في العلاج النفسي، ويبدو الدور « الايجابي » لرجل الدين في صياغة حياة المجتمع، والدفاع عن الضعيف، ونصرة المظلوم، ويصوره الفيلم إنسانا طبيعيا عاديا، قوي الجسم، عاملا، قادرا على الابتسام واسعاد الصغير باللعب معه وفهم مشكلاته، والكبير بمصاحبته ونصحه. أما أفلامنا العربية فلا يأتي التصوير ـ في اطاره العام ـ بهذا العمق ولا الدقة، فقد تصور أفلامنا رجل الدين كأنه يعيش في غيبوبة عن الوجود، وعليه وقار مصطنع في الملبس والحديث والتصرف » [18].

وحسبنا هذه الملاحظات والاقتراحات حول ضعف البرامج الدينية، وامكانية تطويرها لتساهم في تربية أفراد المجتمع تربية اسلامية، وكلنا أمل في أن يرفع المسؤولون من حجم البرامج المتعلقة بالدين ويطوروها من حيث الكيف والجودة، ويخرجوها من قفص الجمعة لتعم سائر أيام الأسبوع.

ضعف الانتاج الوطني وهيمنة الانتاج الغربي

نلاحظ من خلال استقرائنا للجداول المتعلقة ببرامج الاسبوع النموذجي (أنظر الملحق) أن نسبة الانتاج الوطني هي 46،15 % ونسبة الانتاج الاجنبي 53،85 % ، ونكادنجزم أن الإنتاج الوطني يعادل الانتاج المستورد، إلا أنه اذا استثنينا الاخبار والبرامج الرياضية (وهي في أغلبها لقطات من مباريات غربية) وتقديم البرامج في البدء والختام، يصبح توزيع الانتاج كالآتي :

ــ إنتاج وطني : 255 دقيقة أي 18،68 % (أزيد من الثلث فيها أغاني) [19]،

ــ إنتاج مستورد غربي : 660 دقيقة أي 48،35 % ، أي ما يقارب النصف،

ــ إنتاج مستورد عربي : 450 دقيقة أي 32،97 % ، أي ما يقارب الثلث.

المجموع : 1.365 دقيقة.

فما عسى يقوله الباحث في تلفزة وطنية، أربعة أخماس برامجها مستوردة، وما يقرب من النصف منها غربي بلغة غير اللغة الوطنية ؟ هذا من حيث الكم، أما من حيث الكيف فالامر يحتاج إلى بحث آخر، وحسبنا في هذا المقال أن نلقي نظرات على بعض برامج الاسبوع النموذجي أو بعض الاسابيع السابقة أو اللاحقة له وقت كتابتنا هذه السطور.

وحتى نتجنب السوداوية في الوصف، والمبالغة في اظهار السلبيات، تجدر الاشارة الى أن تلفزتنا شهدت عدة تطورات ايجابية، لعل أوقعها في نفوسنا ونفوس المواطنين تلك التي أقدمت عليها ادارة البرامج التلفزية حين قررت الغاء الأخبار بالفرنسية، والاقبال على خوض التجربة في ميدان ترجمة الافلام الغربية الى اللغة العربية منذ ما يقرب من سنتين، وكذلك تلك التي اقدمت عليها مؤخرا بتعريف المواطن المغربي بتاريخه التليد (برنامج شواهد من الماضي)، واحاطته علما بواقع السينما المغربية من خلال عرض أفلام المغرب العربي، ومن بينها أفلام المغرب، بغض النظر عن غموض ورموز وفراغ العديد من هذه الافلام حين وصفها لمجتمعات المغرب العربي ومشكلات شبابه.

ولسنا ندري ما يمنع التلفزة اليوم من الاستمرار في ترجمة الافلام الغربية والشرقية على السواء مع اختيار الجاد منها والمفيد علما وثقافة وتاريخا والذي لا يتعارض مع حياتنا وعاداتنا الاسلامية والعربية في انتظار ازدهار الانتاج الوطني العربي، بل اننا نرى دولة مثل المانيا الغربية تقدم على ترجمة برامج ألمانية الى اللغة العربية هي من خير ما تقدمه تلفزتنا في باب البرامج الوثائقية والعلمية، ولا نرى تلفزتنا تقدم على مثل ذلك وهي تلفزة الدولة العربية الاسلامية العريقة في المجد، بترجمة الاشرطة الوثائقية والعلمية سواء منها الامريكية أو الاوروبية أو اليابانية أو السوفياتية أو الاسيوية أو الافريقية التي تخدم العلم والمعرفة وتنمي الفكر وتذكي الذهن، لتثقيف الجمهور المغربي بلغة يفهمها ويدرك معانيها بدل الانحصار في ما هو غربي الانتاج والترجمة والذي هو بعيد عن العلم والثقافة الرشيدة إلا في بعضه.

والمتتبع لبرامج التلفزة المغربية يلاحظ دون عناء أنها دأبت على اقتناء البرامج الجاهزة واستيرادها، لطبع طبعت عليه من جهة، وللتعقيدات القانونية التي يعرفها كل من سبق له تدبير أموال الدولة مع قلة الاعتمادات المرصدة للانتاج من جهة أخرى. فالانتاج المحلي يتطلب علاوة على توفر نص الموضوع وتصميم الاخراج والقيام بتحقيقه وما يلزم ذلك من طاقم تقني وفني وأجهزة حديثة ومتقدمة، عددا من الترتيبات والنفقات تفوق أثمنة ما يعرضه السوق من أفلام وأشرطة جاهزة لا يتطلب اقتناؤها كبير جهد ومال. كما أن المسطرة المعمول بها في تدبير أموال الدوّلة تجعل من اليسير اقتناء الأشرطة الجاهزة لان أثمنتها محددة حسب الوحدة، في حين أن القيام بانجاز شريط وطني يتطلب تفاصيل في النفقات مدققة تثبط الهمم أحيانا، وتقعد النفوس في بعض الأوقات عن القيام بكل مبادرة رشيدة في ميدان الانتاج، ويزيد الطين بلة عدم اهتمام القطاع الخاص السينمائي المغربي بالأشرطة المتلفزة قصد بيعها لتلفزتنا الوطنية وبقية الأقطار العربية والدولية.

وكما سبق الذكر، فاننا سنكتفي بابراز هيمنة البرامج المستوردة وضعف الانتاج الوطني بالقاء نظرات على بعض فقرات برامج اسبوعنا النموذجي أو غيرها من البرامج المعروضة بالأمس القريب والادلاء بملاحظات موجزة حولها.

أ - برامج الاطفال

نلاحظ أن برامج الاطفال المعروضة خلال الاسبوع الذي وقع غليه اختيارنا كلهآ مستوردة، ومنذ مدة وبرامج الاطفال على هذه الشاكلة إلا بعض الاستثناءات المحدودة الزمن. ومما تجدر الإشارة اليه، أن برامج الاطفال خالية من كل ما هو اسلامي، فلا برامج تعلم الطهارة والصلاة أو توضح الشرائع أو تعرض قبسات من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أو تشرح آيات من الكتاب المبين أو حديثا من الكلم الطيب لسيد المرسلين، ولا برامج تعلم الصدق والفضيلة والشجاعة والقوة، وتحلل قضايا الاطفال المعاصرة داعية للحكمة واستخدام العقل وتنشيط الذهن لتمييز الصالح من الطالح، والانكباب على دراسة العلم وتقوية الفكر في كل ميادين المعرفة. كما أنها خالية من كل ذكر لتاريخ المغرب، وحضارة المغرب، وقضايا المغرب، بحكم كونها أنجزت في استوديوهات خارج المغرب، لهدف يغلب فيه الجانب التجاري أو الغزو العقائدي على الجانب الثقافي والتربوي مع انعدام الاشارة الى حضارة أي بلد اسلامي.

والمفروض في برامج الاطفال :

— أن تنقل للطفل عادات وتقاليد هي من صميم شريعتنا الاسلامية وأصالتنا العربية،

— أن تواكب البرامج التربوية في المدرسة والثانوية،

— أن تحلل مشاكل الطفولة والأسرة تحليلا يساعد الطفل على تجنب كل ارهاق نفسي،

— أن تدعو للتمسك بمكارم الاخلاق مستعينة بالمسرحية والرواية كالابتعاد عن الكذب والسرقة، والتزام الصدق والوفاء، واجتناب الخيلاء والكبر، والتخلق بالتواضع واللين، وضرورة طاعة الوالدين واحترام الاساتذة والمعلمين، واحسان معاملة الاصدقاء وبقية أفراد المجتمع،

— أن يتعلم الطفل أناشيد وحكما تدعو الى الفضيلة وتحث على الاستقامة وحب الخير،

— أن ترفه عن الطفل بتمثيليات وبرامج فكاهية خفيفة تقدس الاسلام وتحترم الوطن.

لكن الملاحظ أن أغلب برامج الأطفال المعروضة بالتلفزة في السنوات الأخيرة بعيدة عن تحقيق هذه المهام، بل تعاكسها بنقلها الطفل لعالم خيالي دستوره المؤامرات والمناورات والعنف، وإذا كان لموضوع شريطٍ للاطفال صلة بالأرض، فبالجزء الامريكي حيث الإحسان وحسن المعاملة والعطف متواجدون جنبا الى جنب في قوالب مصطنعة، مسبوغة بطلاء مسيحي.

وحتى لا يكون كلامنا زعما يفتقر الى الدليل، نرى أن نتطرق لمحتوى البرامج التي عرضتها التلفزة في أسبوعنا النموذجي أو في الاسابيع التي قبله أو تليه، ليتجلى لنا بُعد واقع تلك البرامج عن واقعنا المعيش وعن مشاكل الطفل الاجتماعية وتساؤلاته الفطرية.

● عالم الخيال والأساطير :

« المدهشون الاربعة »، « كراندايزر »، « الرجل الحديدي »، النسر الذهبي »، وهلم جرا، كلها رسوم متحركة متسلسلة في حلقات إذا لم تجعل الطفل في غيبوبة تامة عن ما يجري حوله، فإنها تنقله الى عالم خيالي بعيد عن واقعه المعيش وعن اهتماماته ومشاكله. فهي بالفعل تحمل الطفل المشاهد عقلا وفكريا الى ما وراء الفضاء الخيالي والى عالم أسطوري خرافي، حيث ينقلب الولد بمجرد الرغبة نارا، وتصبح البنت في رمشة العين لا تحيط بها الابصار، والرجل الحجري يزداد باستمرار قوة وشجاعة، وآخر ينقلب حديدا مشحونا بطاقة لامتناهية بعد صرخة يصرخها، وآخرون ما شاء الله من قدرات خرافية لا ندركها..، ومضمون هذه الرسوم مجموعة من المناورات والمؤامرات والاشتباكات قوامها العنف والحيل الخبيثة.

فما عسى سيستفيد الطفل من كل هذا الخليط من الاوهام والاساطير والمخلوقات التي لا وجود لها على الاطلاق ؟ وما هو يا ترى حجم الأحلام التي تدور برأسه إبان وبعد مشاهدة تلك الرسوم ؟ أليس سيرغب كل طفل خضع لعمليات السفر بخياله في ذلك العالم المدهش في أن ينقلب نارا أو يصبح غير مرئي أو يكون حجرا صلبا حتى يدرك من القوة ما يمكنه من تحقيق مآربه والحصول على جميع رغباته ؟ كيف يمكن تكوين شخصية سليمة للطفل المشحون بهذه الخزعبلات الأسطورية وهو يعيش في قلق نفسي دائم ناتج عن تناقض العالم الواقعي الذي فيه يحيى، والعالم الخيالي الذي به يحلم ؟

لقد أحسن القول أحد الاساتذة بالتعليم الابتدائي بعد التجربة والخبرة، حين أشار الى ان تلفزتنا الوطنية بحشوها عقول التلاميذ بالخرافات والاساطير، ونقلها لهم الى عالم ما وراء فضائي خيالي، واسهارها إياهم الى وقت متأخر من الليل بغية متابعة برامجها، جعلهم وقت الدرس إما نياما، وإما في غيبوبة فكرية متقمصين شخصيات الرسوم المتحركة.

وليس من المستبعد أن يخلط الطفل بين الجن أو الملائكة كخلائق غير مرئية، وشخصيات الرسوم المتحركة الوهمية، وهو أمر قد يزعزع إيمانه بالدين الاسلامي و يجعله في شك من يقينيات الاسلام، ويضعف من أثر دروس التربية الاسلامية في تثقيفه وتعليمه.

وغير خاف على الآباء والمربين أن الأطفال يعشقون تقليد الشخصيات التي يشاهدونها بالتلفزة، ويكفي المتشكك في هذه الحقيقة أن يقوم بجولة بالأحياء الشعبية ليطلع على مجموعات من الأطفال تتقمص في لعبها شخصيات الرسوم المتحركة، تصيح صيحاتها

وتحاول عبثا التشبه بها، كما أنه اذا ما أصغى لأغاني أولئك الأطفال، سيجد لها مرجعا في أغاني الاشهار بصفة خاصة وأغاني برامج الإذاعة والتلفزة بصفة عامة. وكان الأولى تقليد شخصيات إسلامية والتأثر بها، شخصيات تتميز باللين والحلم، والشجاعة والقوة، والصدق والأمان، أو شخصيات وطنية ساهمت في رفع قيود الاستعمار عن هذا البلد الطيب.

● عالم الغرب الطيب الذي لا يقهر :

إن من سوء استيراد الأفلام الغربية، كونها تنقل للمتفرج عادات وتقاليد وأفكارا غريبة عن مجتمعه، وتهتم بأمور غير اهتماماته ومشاكله، ويشتد سوءها حين يتعلق الأمر ببرامج للأطفال الذين هم في أشد الحاجة إلى التربية المراقبة والتعليم الممنهج، وحتى نظهر خطر بعض البرامج العربية، سنتطرق الى القاء الضوء على بعض ما احتواه برنامجان أمريكيان مترجمان الى الفرنسية استحوذا على عقول الاطفال، بل حتى الكبار، وما زالا يفعلان أثرهما في نفوس عديد من أفراد المجتمع.

★ مسلسل طوم سايور :

هذا المسلسل من أخطاره أن يجذب الطفل إليه ويرغبه في مشاهدته لجودته وحسن تصويره، لكنه يعلمه عدم الاهتمام بالدروس لأن طوم سايور أعدى شيء لديه هو الدراسة، ويلقنه الضحك من الأساتذة، ويحرضه على الهروب من البيت والمدرسة مع شرح توضيحي لكيفية الهروب، إضافة إلى مصاحبة الفتيات واتخاذ الخليلات منهن.

ومن أعظم زلات هذا المسلسل حرصه على حشو عقل الطفل بأسطورة البطل الامريكي الذي لا يقهر، هذا ما توحي به الاغنية المقدمة في بداية كل شريط من أشرطة المسلسل التي تقول بالحرف بعد عد مناقب طوم سايور : « طوم سايور،... إنه لا يخاف شيئا لانه أمريكي » (il n'a peur de rien, c'est un Américain)، فرمز الشجاعة، وعلامة القوة، ودلالة اللاخوف لا يمكن أن تتجسد إلا في الامريكي !

★ مسلسل المنزل الصغير

هذا المسلسل الامريكي، يعتمد، كما هو الحال بالنسبة لمعظم المسلسلات الامريكية المتلفزة في السنوات الاخيرة، على عرض شبه شمولي لحياة عائلة معينة في قرية معينة خلال تاريخ معين. عائلة هذا المسلسل اسمها « انجلز » مكونة من أبوين وثلاث بنات، وأفراد هذه العائلة، رغم المصاعب التي تواجههم في كل سلسلة، يصبرون في الشدة، ويستعينون على ذلك بالدعاء والصلاة بالكنيسة، أما الأبوان فشديدا الحنان على بناتهما، لا يضربانهن ولا ينهرانهن، بل يسعيان بكل الوسائل لمعرفة ما يدور في أذهانهن لحل مشاكلهن ومساعدتهن، وأب العائلة علاوة على حبه لبناته محب لزوجته مخلص لها، وهي تبادله نفس الحب والاخلاص، وهما يحرصان على أن يدعو بناتهن الله قبل كل أكلة، وأن يذهبن الى الكنيسة كل أحد، وأن يصبرن على الأذى من طرف الغير ويحسن معاملة الناس جميعا الأشرار منهم والأخيار.

إضافة الى كل ذلك، فللكنيسة دور بارز في المسلسل عبر دورها في القرية، قرية « وال نولد كروف ». أب الكنيسة يتدخل في كل خصام ليصلح بين الناس، يسأل عن أمورهم وقضاياهم، والمسلسل يظهره كرجل عادي، عليم بعديد من القضايا، ملم بأمور الدين والاجتماع والسياسة، وليس عليه ذلك الوصف المصطنع في اللباس والقول كما هو الحال بالنسبة لبرامجنا الدينية، فهو دائم الاهتمام بالناس، يصلح، يدعو، يحن...، أهل القبيلة يعرضون مشاكلهم بالكنيسة حتى الأطفال منهم، وأول ما يسكن الساكن بالقرية يعرّف به في الكنيسة، وأول ما يحل الغريب بها يبدأ بزيارة الكنيسة. كما أن أفراد القرية منهم الطيبون والشريرون كزوجة "نيلسون" وبنتها مثلا، ويتعمد المسلسل إظهار الطيبين داعين الله قبل الأكل وعند الشدائد، ويتجنب ذلك حين الحديث عن الأشرار.

ولعلنا أطلنا في عرض مضمون المسلسل لكوننا حرصنا على أن نظهر للقارىء على أن المسلسل في مختلف حلقاته، يعرض بكيفية ذكية مفاهيم الديانة المسيحية، ويرغب في الاستمساك بها، وينص على فكرة : من صفعك على خذك الأيسر، فأدر له خدك الأيمن.

وكم من طفل لا يحسن الأبوان معاملته يجد لذته في متابعة حلقات المسلسل المذكور ؟ وكم من طفلة تجد مبتغاها فيه ؟ الأب الحنون، الأم العطوف، عدم مخاصمة الأبوين، إحسان معاملة الزوجة للزوج والزوج للزوجة، تفهم مشاكل الأطفال حتى الجنسية منها، الاحسان للانسان، الرفق بالحيوان، مساعدة المحتاج، مناصرة المظلومين، كلها تجعل الأطفال ـ خاصة منهم الذين يشكون من عدم اهتمام الوالدين بهم، أو كثرة تخاصمهما، أو يتألمون مما يشاهدونه في المجتمع من تفاوت بين الغنى الفاحش والفقر المدقع ـ يرغبون بل يحبون لو كان آباؤهم شبيهين بالأبوين « انجلز » وان تكون تصرفاتهم كتصرفاتهما إزاء بناتهما، ومعاملاتهم كمعاملاتهما فيما بينهما، وبالتالي، وهنا بيت القصيد، أن يأخذوهم لمكان كالكنيسة يستطيعون كأطفال قرية المسلسل عرض مشاكلهم على أفراد قراهم ومدنهم، وطلب المعونة منهم لقضاء حوائجهم وأغراضهم، وأن يحرصوا على أخذهم هناك كل أحد كي يعاملوهم كما يعامل "أنجلز" أفراد أسرته.

ولسنا ندري ما يمنع صانعي الأشرطة العربية، وتلفزتنا الوطنية، من الانكباب على اعداد مسلسل شبيه يعرض الحياة الاسلامية المثلى من خلال حياة أسرة نموذجية تواجه مختلف حاجيات وتقلبات الحياة الاجتماعية اليومية في المدينة والقرية. فلعل اخراجنا لن يكون في مستوى اخراج "هوليوود"، المدينة السينمائية الامريكية، ولكن حسبنا في البداية أفلام بسيطة الاخراج، قليلة التكاليف، ترغب في الاسلام الذي يدعو دون اصطناع أو ملابسات، الى مكارم الاخلاق وحسن المعاملة والعطف على الأولاد واحترام الوالدين، وتظهر ذهاب الاطفال والكبار رجالا ونساء يوميا الى المسجد، وتزيينهم بأحسن الثياب يوم الجمعة وسماعهم لخطبتها واستفادتهم منها وغير ذلك من الشرائع الاسلامية كالزكاة والصوم والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة على سيد الأنام وسماع حديثه والاقبال على عمل ما يأمر به عليه الصلاة وأزكى السلام، بل أكبر من ذلك، يمكن الاستفادة من الأثر الذي تركه في شخصية بعض أطفالنا أمثال هذه المسلسلات بالاشارة الى أن الاسلام يعتبر دعوة المسيح عليه السلام من صميم دعوته، وكذلك الأمر بالنسبة لدعوات الأنبياء من قبله، وإنما نزل القرآن على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كختام للرسالات النبوية ولإزالة ما انتحله المبطلون وما اختلقه المختلقون في الديانات السابقة كتأليه المسيح عليه السلام وأمه وادعائهم قتله.

ولنتصور بعد عرضنا لهذين المسلسلين، طفلا مغربيا يعيش في أسرة عادية، قد تكون فقيرة، وقد تكون غنية، وإن كان أطفال الأغنياء يزيدون على مشاكل التلفزة مشاكل الفيديو :

ـــ فإذا كان الوالدان يضربان الطفل، أو لا يشملانه بالحنان والعطف اللازمين، أو يتخاصمان أمامه مرارا ولا يلبيان حاجياته، فانه

سيكون شديد الشوق بأن يعيش فى أسرة كأسرة أنجلز حيث العطف والحنان أو أن تكون له قوة تماثل قوة « كراندايزر » أو « الرجل الحديدي » أو « فليبيرو » ليواجه الصعوبات التي تعترضه.

— واذا كان الطفل فقيرا فانه يحلم بأن تكون بلدته كقرية « وال نولد كروف » حيث يمكن للأطفال عرض مشاكلهم بالكنيسة وطلب المعونة هناك من أهلها على حلها، بدل أن يعيش بين أهل لا يسخرون إمكانياتهم لاسعاده، ومجتمع لا يأبه به، وبلدة ليس له بها موطن يمكنه من عرض مشكلته أمام الملأ، أو يحلم بأن تكون له قدرة خارقة تجعله غير مرئي مثل فتاة « المدهشون الأربعة »، فيدخل حيث يشاء، ويأخذ ما شاء دون أن يعلم بذلك أحد،أوأن يكون قويا مثل « الرجل الحديدي » فيحقق جميع أغراضه.

— وإذا كان الطفل في عائلة لا تمنعه طلبا، فقد يرغب في أن يكون مثل « طوم سايور » الذي لا يهتم بدراسته ومع ذلك ينجح في كثير من مراحل حياته، ويحب صديقة ويرغب في الخروج معها ويحرص على مواعيدها.

ويمكننا القول أن هذا المجتمع الخيالي والاسطوري الذي تتراكم أحداثه ووقائعه في عقل الطفل، يجعله إن لم يرغب في أن يتشبه بالغربي، والأمريكي خاصة، فانه سيقتنع بأن أهل الغرب أكثر شجاعة لا يخافون، وأنه لن يستطيع أن يكون مثلهم ولن يتمكن من التفوق عليهم، والله يعلم كم ستكون العواقب وخيمة اذا لم يُتدارك الأطفال الذين أصابهم مس من الخيال التلفزي فتُحسن تربيتهم وتُغسل أدمغتهم من تلك الأساطير والأوهام !

وأطفالنا نظرا لمشاكل النقل والتعليم وافتقار أغلبهم لموارد العيش، ونظرا للمعضلات الاجتماعية التي يواجهونها بالشارع والأسرة، يجدون اللذة - في أغلبهم - في الفرار الى عالم الخيال الذي صنعته التلفزة، حيث المجتمع الأمريكي الهادىء بقرى أمريكا، وحيث القوى الخارقة التي تمكن الانسان من الاختفاء أو الانقلاب الى نار متأججة أو الى حجارة صلبة، كل ذلك بمجرد الرغبة، وحيث الأمريكي بطل لا يقهر، يضيف الى شدة قوته وحنكته وذكائه، صحبة لصديقة ظريفة لطيفة لا تخفيه حبها وان نبح في وجهه كلبها المدلل.

وخلاصة الأمر في هذا الباب، أن الطفل بحكم تأثره بالتلفزة يعيش بين عالمين لا ثالث لهما - إلا عالم الواقع المعيش - إن لم يتداركه أبواه بالتربية اللازمة والتكوين السليم :

— عالم الأساطير حيث الشجاعة المذهلة والقوة الخارقة والخلائق الغريبة،

— عالم أمريكا حيث الهناء والحنان والحب وعدم الخوف وحرية الجنس.

وبما أن الاثنين يستحيلان ولا واقع لهما، فعلى الطفل إما انتظار الانتقال الى ما وراء الفضاء، واما الاستسلام لقوة الغرب والاكتفاء بالتشبه بأهله، وهذا ما يجعل الطفل الخاضع لعمليات الحشو الخيالي من طرف جهازنا التلفزي يعيش في قلق نفسي مستمر لأن ما وراء الفضاء بعيد المنال، ومجتمعه لا يشبه مجتمع القرية الأمريكية صاحبة المنزل الصغير بأي حال من الأحوال، ولعل إيمان هذا النوع من الأطفال بأسطورة الأمريكي البطل الذي لا يقهر هو ما يفسر رغبة العديد منهم في التشبه بالمجتمع الغربي الامريكي. ولأن الرغبة مجرد تقليد، يسرع هؤلاء في التشبه بالغربيين في الملبس والرقص والانحراف واللامبالاة بحكم كونها تصرفات سهلة الاقتباس لا تحتاج الى دراسات بالمعاهد أو تجارب بالمختبرات.

واذا كانت تلفزتنا من خلال برامجها تلك تساهم في ترسيخ فكرة تفوق الامريكي علما وثقافة وقوة دون قصد، وتماثلها في ذلك عدد من التلفزات العربية، فان التلفزة الأمريكية تسخر قصدا من الانسان العربي وتقدمه كنموذج للسخافة والسذاجة بكل أنواعها المتعددة.

فلقد قام الباحث الأمريكي شاهين جاك بدراسة في سنة 1978 حول « صورة العربي في الإعلام الأمريكي » حلل فيها صورة الانسان العربي في عدد من الافلام والمسلسلات التلفزية، نرى من المفيد نقل بعض الفقرات منها لندرك كيف يساهم إعلامنا التلفزي دون أن يشعر في توسيع الهوة بين المستوى العلمي للانسان الأمريكي والانسان المغربي العربي ويجعل من تبادل الحوار والخبرات بينهما حوارا عموديا أعلاه أمريكا وأدناه عالم العرب !

يقول الباحث شاهين ج. جاك :

« لا يخفى على كل مشاهد للتلفزة أنه في كل عمل تلفزي من مسرحية أو مسلسل أو ما شابههما مما فيه صراع، يجب أن يكون هناك عنصرا الخير والشر، وعنصر الشر في التلفزة الامريكية اليوم هو « العربي » حيث يقدم كنموذج للسذاجة والرعونة بكل أشكالها المتعددة » [20].

« فبرامج التسلية في التلفزة الامريكية تقدم المجتمع العربي على أنه يتكون من الشخصيات التالية : الأولى يمثلها واحد من شيوخ الصحراء الغنية بالبترول مالكا للجمال وسيارات الكاديلاك الفخمة إضافة الى حاشيته، وهذا الشيخ ذو ثراء فاحش وغير مسؤول، متخلف ومجنون في أمور الجنس، ويكون ذا اتجاهات غربية في ميولاته السياسية، فهو ليس حقيرا بالمرة. الشخصية الثانية في برامج التسلية الأمريكية التي تقدمها التلفزة الامريكية هي شخصية الارهابي أو المخطط لعمليات الارهاب، ولا يشغل اهتمام هذه الشخصية الا الموضوعات السياسية، وهذا الاهتمام في السياسة يعبر عنه من خلال عمليات القتل والخطف وما شابه ذلك من أشكال الارهاب المتعددة... والأدهى من ذلك أن البرامج التي تشوه صورة العربي تُعرض ليس في الولايات المتحدة فقط وانما تصدّر الى الخارج، لهذا نجد التلفزة الأمريكية عن هذا الطريق تساهم في تشويه صورة العربي ليس في الولايات المتحدة فقط وانما في كل العالم » [21].

« صورة العربي تكاد تصبح جزءا من التراث الشعبي الأمريكي، وتظهر صورته كشخص متعطش للجنس، مخادع يطعن من الخلف الى أسوأ ما يمكن أن يكون عليه المرء من أشكال الدناءة وكمبتز شره أو بدوي متعطش لدم غريمه في عمليات الثأر... » [22].

ويستشهد « شاهين جاك » خلال حديثه بنماذج من المسلسلات التلفزية التي أتحفتنا تلفزتنا الوطنية ببعضها (مع حذف الحلقات التي تسخر من العرب) نذكر منها « الرجل الذي يساوي ستة ملايين » و « جيمي القوية » و « هاواي خمسة صفر » و « كولومبو ».

ويختم الباحث دراسته بالملاحظات التالية :

« إن هذا التشويه لصورة العربي في وسائل الاعلام الأمريكية يبدو وكأنه يتجدد تلقائيا، وأن استمراره بهذا الشكل سيجعل مما يقدّم ليس مجرد أخبار ومعلومات وإنما... صورة ثابتة في عقولنا، وان هذه الصورة المشوهة لا يقتصر أثرها على ترسيخ وتدعيم التحيز الموجود عند المشاهدين ضد العربي وانما سيولد قناعات سلبية ثابتة ضد المواطن العربي المعاصر لدى الملايين من مشاهدي التلفزة. فالعربي كما ترسمه التلفزة الامريكية لا يتعدى أن يكون نخاسا يتاجر في الرقيق الأبيض، ووسيطا غبيا متعصبا، وأحيانا طفلا غنيا مدللا يعتقد بأن ماله يمكنه من الحصول على أي شيء... إن العواقب البعيدة المدى المترتبة على عملية تشويه صورة العربي في التلفزة الأمريكية هي تشكيل مواقف خاطئة ضد العرب... إن صورا كالتي تحدثنا عنها... تقدم صورة مشوهة للعرب، فهم لا يتعدون أن يكونوا بدوا متخلفين يتسكعون

في الأسواق أو يجلسون القرفساء في خيامهم الصحراوية محاطين بالراقصات البدينات وحقول البترول. ولسوء الحظ أن الاستمرار في تقديم مثل هذه الصورة المهينة عن العرب في التلفزة الامريكية لا يزال كما يبدو عملية مقبولة اجتماعيا والتي يبدو من ورائها انكار وجود الشعب العربي ودوره في الحضارة الانسانية » (24).

هكذا توحي المسلسلات والافلام التلفزية الامريكية الى جمهورها وجمهور الغرب التابع لها بتشويه صورة العربي. وتسعى في نفس الوقت لانتاج أفلام وأشرطة للكبار والصغار تمجد الرجل الامريكي وترفعه الى أعلى القمم مضيفة عليه نوعا من الالوهية أو النبوة قصد تسويقها في باقي أقطار العالم. خاصة منه العالم الثالث وبالأخص منه العالم العربي والاسلامي. حتى يسلّم أهلها بأن الغرب ومن ورائه أمريكا. هو صاحب الحل والعقد ثقافيا وتكنولوجيا وسياسيا واجتماعيا !

* وكم وددنا أن نغتنم تلفزتنا ذكرى اليوم العالمي للطفل. وذكرى عاشوراء الاسلامية. فتبعد عن أطفالنا برامج الخيال وتأليه الأمريكان. وتبدلهم عوضها برامج تربوية وعلمية تنطلق من الواقع المشهود لتبرز ما ينبغي اجتنابه وما يلزم اتباعه لنصل الى المجتمع المنشود. لكن مرت الذكريان وكأنهما لا تهمان مجتمعنا وأطفالنا. وحق لغفلتنا هذه أن يقول أحد أعضاء الكنيست عندما صنعت التلفزة التي تعمل بواسطة البطارية : « اليوم يمكننا ان نطمئن على شباب الريف العربي » ( ) وهو يدرك جيدا ما يقول : ويدرك ما فعلته التلفزة في أهل المدن. وما ستفعله في أهل الريف الذي كان يخاف منهم لخروجهم من دائرة البث التلفزي !

ب ـ الافلام والمسلسلات

الأفلام والمسلسلات التي تعرضها تلفزتنا تنقسم الى ثلاثة أنواع :

1 ـ **أفلام غربية ـ أمريكية** تتحدث عن مجتمعات غريبة عن مجتمعنا، وتتطرق لمشاكل هي غير مشاكلنا واهتمامات هي غير اهتماماتنا. ثم هي في الغالب إما بوليسية مشحونة بالعنف، وإما ماجنة تستخف بالمجتمعات سلطة وشعبا وتحرض على البغاء وتستهون الفحشاء.

2 ـ **أفلام مصرية ـ خليجية** أكثرها رديء الاخراج، يهيم في قضايا الحب والغرام يوحي ديكور الصالونات التي تصور بها تلك الافلام بأنها قضايا بعض العائلات المترفة حتى التخمة، بعيدة عن القضايا الحقيقية للمواطن العادي، فالفراش الأنيق موجود، والتليفون متوفر، والنقل ميسر، وموارد العيش تتدفق ولا تكاد تنعدم، وحرية المرأة في اختيار زوجها أمر لا يختلف فيه اثنان، وكبتها وتهميشها أمر مستبعد، والمشكلات، بل المعضلات التي يقضي الفرد في ايجاد الحلول لها السنوات الطوال تحل في دقائق معدودة، وغيرها من الكذب المصطنع على الواقع وعلى المتفرج على السواء. ولا يسعنا في هذا الباب إلا أن نشجع القائمين على اعداد البرامج التلفزية على الابتعاد الملاحظ في الاسابيع الأخيرة عن الكثير من هذه الأفلام أو المسلسلات، آملين في أن تعوض بأفلام جيدة علمية أو ثقافية أو ترفيهية تنسجم مع أخلاقنا وسيمنا الاسلامية واهتماماتنا الوطنية.

3 ـ **أفلام المغرب العربي** : وهو انتاج تحاشت تلفزتنا ذكره زمنا كأنه غير موجود، ولن يفوتنا توجيه الشكر لها في هذا الباب أن عرّفتنا بهذا المخلوق الفني، الذي أقبر في داره وهو ما يزال رضيعا، لولا أن تداركته التلفزة فأدخلته قاعة الانعاش.

ومن الملاحظ في هذه الأفلام حرصها الفريد والأوحد على المغامرة في ما أسماه أهل اليسار بالثالوث المحرم : الدين، السلطة، الجنس (25)، لتبدع بكيفية تناولها لهذه « المحرمات » ثالوثا آخر متقوقعة فيه باستمرار بين أطرافه الثلاثة : الأضرحة، البغاء، الرموز.

وحتى لا نطيل في موضوع كفت فيه اشارتنا الى أن أغلبه مستورد، بعيد عن واقع المغاربة وحياتهم اليومية، وغير منسجم مع شعائرهم الاسلامية، نرى أن نركز ملاحظاتنا في هذا الباب حول محورين اثنين : العنف والمجون .

★ العنف التلفزي :

تقدم لنا التلفزة العديد من الافلام البوليسية قوامها العنف وتهوين الاجرام، ومن جملتها مسلسل «علامة العدل» الذي ادرج عرضه ضمن برامج اسبوعنا النموذجي. فهذا الشريط، وغيره من الاشرطة البوليسية ـ ولعله الاقل عنفا فيها ـ يوحي مضمونه بأن أجهزة الشرطة المكلفة بالأمن لا تستطيع القاء القبض على المجرمين إلا بفضل شخص خارق للعادة، شديد الذكاء، عظيم الحنكة، هذا علاوة على اعتبار الاجرام والارهاب أمرا عاديا وطبيعيا بأي مجتمع من المجتمعات المعاصرة. فأجهزة الأمن بهذه المجتمعات مهما بلغت من التأطير والتجهيز بمختلف العتاد والآلات والأدوات، لن تتمكن من تحقيق الأمن بالبلاد إلا بفضل شخصية فوق طبيعية هي آية في الكمال والدقة والحدس، مما يجعل المجرمين يستصغرون فاعلية هذه الأجهزة، ويندفعون بسهولة للاعتداء على المواطنين الأبرياء، بدل مكافحة الاجرام من خلال التلفزة بالدعوة للأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة، وابراز فداحته وسوء عواقبه، وقدرة السلطات المسؤولة على التصدي الصارم لأهله.

وللمتشكك في صحة دور التلفزة من خلال الأشرطة البوليسية في تطور ظاهرة العنف بالمجتمع نورد الاقتباسات التالية :

ـــ « في دراسة أجريت في 1966 على مجموعة من أطفال الحضانة لمدة ثلاثة أسابيع، حيث جعل الاطفال يشاهدون ثلاثة أنواع من البرامج التلفزيونية، برامج عدوانية، برامج محايدة، برامج تعلم الأطفال القيم والعادات المقبولة اجتماعيا، قسم الاطفال الى ثلاث مجموعات كل مجموعة شاهدت نوعا من الافلام، وبعد مرور الاسابيع الثلاثة، فحص الباحث درجة العدوانية عند كل مجموعة من المجموعات الثلاث، فاتضح أن المجموعة التي شاهدت الافلام العدوانية أكثر عدوانية من هؤلاء الذين رأوا الافلام المحايدة » (26).

ـــ « إن أغلبية التصرفات الانسانية تعلم بالمشاهدة، ويمكننا طرح الفرضية التالية : إن عرض عمليات العنف على الجماهير يؤدي الى تعودهم عادات عدوانية وأحيانا يساهم ذلك في الانتقال مباشرة الى الفعل. والاشغال المنجزة في المختبرات تؤكد هذه الفرضية، فبعد الخضوع لمشاهدة صور سينمائية عن العنف، تكون لدى المعنيين ميل في ظروف مشابهة لما رأوه بالأفلام المعروضة الى إعادة تشخيص العمليات التي شاهدوها » (27).

ونحن لا نحمل مسؤولية الاجرام للتلفزة، فعلماء النفس ما زال البعض منهم يخالف البعض الآخر في الاجهاز على التلفاز في ميدان العنف بمرافعتهم عنه وقولهم انه يساعد الفرد على اطفاء نار العدوانية حين استمتاعه بأشرطة قوامها العنف، لكن اغلبهم يؤكد على الدور الذي تقوم به التلفزة في شحن نفوس المواطنين بالعنف، وبالتالي في الاسهام في استصغار رد فعل السلطة لدى المجرمين من جهة، وتدريب الأطفال على عمليات العنف من جهة أخرى.

ونختم هذه النقطة حول العنف بالقول أنه من سلبيات الافلام البوليسية وشبيهاتها أنها تبرز المجرمين والارهابيين كأبطال وشجعان، في حين ان القتيل او القتلى يلقون على الارض أو في البحر لا يكاد يؤبه بهم، مع العلم أن الدين الاسلامي أعظم ذنب الاقدام على قتل النفس واعتبرها جريمة تستحق لعنة الله وعقابه الشديد وعذابه الاليم علاوة على الحد بالقتل للقاتل.

★ المجون التلفزي :

من الافلام الماجنة التي عرضتها وما زالت تعرضها تلفزتنا وقت كتابتنا هذه السطور، مسلسل «طريق الفلامينكو»، وهو مسلسل شبيه بمسلسل « دالاس » الذي ننتظر من علمائنا في الاجتماع مدنا بدراسة حول سوء أثره في افراد مجتمعنا، وشبابنا منهم على الخصوص. فالمسلسل تدور حلقاته حول اسرة غنية وعلاقاتها بأقاربها الاثرياء ونشاطها الاجتماعي والسياسي داخل مدينة معينة. وسمات هذا المسلسل يمكن اختصارها فيما يلي :

— الاستهزاء برجال السلطة، فصاحب السلطة التنفيذية بالمدينة مادي حتى الثمالة، يستغل السلطة لاكتساب المال بابتزاز المواطنين ومساندة الظالمين من المترفين والدفاع عن المجرمين مقابل المال واستفزاز سكان المدينة وهتك أعراضهم مقابل هدايا وعطايا من أصحابّ المصالح الكبرى وتجار البلد.

— رجل البرلمان يفضل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ويخضع كذلك للابتزاز من طرف رجل السلطة.

— الاستهزاء من غيرة الرجل على زوجته أو المرأة على زوجها واعتبار ذلك من العقد النفسية.

— اعتبار الزنى واتخاذ الخليل من طرف الزوجة والخليلة من طرف الزوج أمرا عاديا وطبيعيا تقتضيه ظروف العيش والتعامل مع الناس.

— أوكار الزنى والحانات والمراقص شيء من صميم المجتمع وتقاليده.

— المخدرات معمول بها خاصة عند الشباب.

— الرشوة طبع متأصل عند أصحاب السلطة.

— الزواج من أجل ابتزاز الاموال شيء طبيعي ومحبذ.

— العائلات الغنية لا تحب الفقراء ولا ترغب في التعرف عليهم.

— غياب أدنى معارضة من طرف سكان المدينة لهذه الانتهاكات للقانون إلا معارضة طفيفة من طرف ثري من الاثرياء.

— ادخال المواطنين السجون والقبض عليهم دون سابق ذنب.

— الرجل يلد ابنة مع زانية ثم يتبناها كلقيطة !

— رجل السلطة ينزغ بين الناس ويحرض بعضهم على بعض.

فما عسى ينتفع المواطن من الحلقات المتتالية لهذا النوع من المسلسلات ؟ وما هي الآثار الايجابية تربويا وثقافيا وخلقيا من مسلسل فيه من عروض الفحشاء والمنكر ما لا يحتمل ذكره ؟

ويزيد الطين بلة أن حلقة هذا المسلسل في أسبوعنا النموذجي عرضت يوم عاشوراء، ذلك اليوم الذي كان يلزمنا فيه دعوة الاغنياء والاثرياء بالابتعاد عن حماقات عائلات « دالاس » و « طريق الفلامينكو »، واخراج الزكاة التى هي حق معلوم للسائل والمحروم واعطائها الفقراء والمحتاجين، وارسالها الى المجاهدين بفلسطين وبأفغانستان حيث الجهاد ضد أعداء الاسلام على أشده، وحيث الحاجة الماسة الى معونة الاقطار الاسلامية، وان دل ذلك على شيء، فانما يدل على غياب سلم الأولويات والرغبة في سد فراغ البرامج بالجاهز بغض النظر عن المناسبات.

أما بالنسبة للافلام العربية، فان تلفزتنا أقدمت على ايقاف مسلسل « العملاق » الذي يتكلم عن حياة الأديب عباس محمود العقاد رحمه الله دون سابق اشارة أو استشارة لتبدله بمسلسل عربي آخر عنوانه « فيه حاجة غلط »، وقد علقت على ذلك جريدة « العلم » بقولها :

« استبدل مسلسل « العملاق » بمسلسل آخر عنوانه « فيه حاجة غلط » وذلك بطريقة تعسفية، حيث أن عباس محمود العقاد لم يصل الى نهاية مطافه القانوني. عشية الاربعاء المنصرم قدمت لنا التلفزة الحلقتين 14 و 15 من العملاق ولم تفه مذيعة الربط بأي كلمة فيما يتعلق بسحبه المرتقب، قبل نهايته، من جدول البرنامج الاسبوعي، وذلك ما يدعونا الى الاجابة عن تساؤل المسلسل الجديد بأن هناك في دار البريهي حاجات كثيرة غلط... » (28).

وتجدر الاشارة الى أن أكبر حصص البرنامج الاسبوعي مدة هي حصة الافلام والمسلسلات علاوة على انها تستهوي العديد من المتفرجين أميين وغير أميين خلافا للاخبار وبرامج الثقافة والفن، وبالتالي فمغربتها أو تعريبها وصهرها في قالب اسلامي أمر ضروري لتقوية أواصرنا الاسلامية والدفاع عن مكتسباتنا الوطنية. والبديل لافلام العنف والمجون لابد وان ينطلق من المجتمع، فيحلل مشاكله وما يواجهه العديد من المواطنين من متاعب للحصول على لقمة العيش، والأزمات التي يتلاطمون بين أمواجها يوميا : أزمة النقل، أزمة السكن، أزمة التعليم، أزمة الاخلاق، التعقيدات الادارية للحصول على الوثائق الضرورية وغيرها من الازمات التي تعيشها مجتمعاتنا المعاصرة، وتنظيم المناقشات الهادفة حولها بين مسؤولين وغير مسئولين تعزيزا لفكرة تقريب الادارة من المواطنين، كما ان هذا البديل عليه ان يشجع المشاهدين على التضحية في سبيل الجماعة وحب الخير ويحرض على إدراج أفلام تربوية يخصص بعضها لمحو الامية المرتفع بالبادية عموما وبين نسائها خصوصا، وإرشادهن وشغلهن بالاشياء المفيدة.

ونعلم ان لتلفزتنا علاقات طيبة مع عديد من الدول الاسلامية تمكنها من تحقيق استطلاعات حول تلك الدول وقضاياها خاصة منها لبنان وافغانستان حيث الغزو الاستعماري على أشده، واجراء استجوابات مع مفكريها وأدبائها وقادة كفاحها لتعريف المواطن بالعالم الاسلامي والشعوب الاسلامية..، وكلنا أمل في أن يتحقق ذلك أو البعض من ذلك.

ج - برامج الفن

من المدهش عندنا ان تنحصر المواهب الشابة في الميدان الغنائي، كأن الشاب ببلدنا لا يتقن إلا الغناء، فأين المواهب العلمية، مواهب الابداع ومواهب الاختراع ؟ أين المواهب الادبية والثقافية ؟ فكم من رسائل جامعية علمية وفقهية وأدبية وثقافية واجتماعية وطبية تناقش بمختلف جامعاتنا ومعاهدنا الوطنية وتنال من الميزات أشرفها ثم لا ذكر لها في برنامج المواهب أو غيره ؟ أين مشاركتنا في مختلف العلوم الرياضية والطبيعية والتقنية والانسانية ؟ وأين إسهاماتنا في الركب الحضاري المعاصر ؟ لا يمكننا الجزم بأن بلادنا عقيمة في هذا الميدان بمجرد أن التلفزة لا تعير اهتماما للمواهب العلمية والفكرية، بل لعل العقم في البرامج التلفزية التي لا تنتقل الى قاعات المحاضرات بالدور الثقافية، والمدرجات حيث تناقش الرسائل الجامعية!

فقرات تتنافى مع شريعتنا الاسلامية وأصالتنا العربية

في هذه الفقرة سنقتصر على ما لاحظناه بأسبوعنا النموذجي فقط، لاجتناب الاطالة من جهة، ولعدم تسجيلنا الفقرات في حينها التي رأيناها تتنافى ومقاصد شريعتنا السمحاء، وسنذكر ثلاث فقرات منها آملين في أن يعزز المسؤولون من رقابتهم على كل ما يخدش الدين ويمس بالاخلاق.

● **التغني بالقرآن** : في الفيلم التونسي « عبور » المدرج ضمن أفلام المغرب العربي يوم الخميس 8 محرم 1405 هـ موافق 4 اكتوبر 1984، وبالضبط على الساعة الحادية عشر ليلا وسبع دقائق حين كان صاحب دور البطل في الفيلم فوق ظهر السفينة، كانت الموسيقى المصاحبة لتحركات هذا البطل عبارة عن تلحين موسيقي لآيات متقاطعة من القرآن الكريم ! وهذه الموسيقى سبق ان اشتهرت في لندن وتصدى لها في ذلك الوقت عديد من الدعاة والمصلحين لمنع دخولها البلدان العربية والاسلامية، هذه الموسيقى الشيطانية [29]، مقوماتها كما يلي :

— نغمات موسيقية صاخبة على النمط الغربي.

— ينخفض صوت الموسيقى ليسمع صوت جماعة يقرأون كما يقرأ مغاربة الجنوب الحزب من القرآن بالمسجد ويرتلون مقاطع آيات من سورة الفجر هكذا :

— « والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يَسْ »،

— موسيقى صاخبة لبضع ثوان،

— « رِي هل في ذلك قسم لذي جـ »

— موسيقى صاخبة كالسابقة،

— « جر ألم تر كيف فعل ربك بِعَا »

ثم ينخفض الصوت بالفيلم لتنقطع « المعزوفة الابليسية ».

ونستغرب كيف يسمح أن يتغنى بالقرآن بموسيقى صاخبة وترتيل متقطع يفقد الآيات معناها في جهاز إعلامي رسمي يخضع جهازا وإدارة للدولة ؟ لا نظن أن المسؤولين قاموا بذلك قصدا، ولكن فاتتهم مراقبة الموسيقى ظنا بأن فلما عربيا سيكون بعيدا عن مثل هذه السموم، فغفل عن تلك الفقرة مقص الرقابة الذي له جولات في عديد من البرامج والمناقشات، ومما يزيد المسألة غرابة أن الفيلم التونسي سبق التقديم له من طرف التلفزة فأشادت به كفيلم مهم بدل فيه مخرجوه مجهودا جبارا لاخراجه في حلته التي هو عليها، مما يشير إلى أنه سبق الاطلاع عليه من طرف الذي أعد التقديم وأنه تتبع مختلف فقراته، ولكن يظهر أن المتتبع كان يراقب الحوار والصور ولم يعر بالا للموسيقى، فأزعج مشاعرنا ومشاعر المؤمنين بهذا المسخ الموسيقي، وكان تعليقنا أن تبا له من إخراج وبعدا له من فيلم.

● **قلة حياء** : في التمثيلية المغربية ليوم الجمعة 9 محرم 1405 موافق أكتوبر 1984 المدرجة ضمن صور عائلية تحت عنوان « القاسمي »، رأى النظارة الرجل الممثل لدور القاسمي يريد بيع ثيابه للعب في التييرسي، قامت الممثلة زوجته تمنعه بإعطائها له شيئا من المال فسر وانشرح، فأزالت معطفه وبدأت تفتح في أزرار قميصه، فألقى بها الممثل الزوج فوق السرير وانطرح فوقها يداعبها ! والاستغراب ناتج عن كون التمثيلية وطنية ناطقة باللغة الدارجة، أي أن معظم الأسر المغربية تتابعها وتنصت لمعانيها بكامل أفرادها تقريبا رجالا ونساء. ورغم أن بعض الأفلام الغربية تعرض أفحش من ذلك إلا أنه لا يتبعها نفس العدد من المشاهدين، ثم إن عباراتها لا يفهمها جميع أفراد الأسرة العادية وإن كانت هي كذلك تخدش في قيم المجتمع الدينية وشريعته الاسلامية.

ولم نكن وحدنا المستغربين لهذا التصرف الشنيع في رواية تعطش الناس لرؤيتها لقلة البرامج الوطنية، أملا في أن تتناول بعض قضاياهم اليومية بكيفية نقدية مسلية تشرح الصدر وتخفف المتاعب، فقد صدر في اليوم التالي واليوم الذي يليه من ثلاث أسر نفس الاستغراب والاندهاش، « كيف يقدم مواطنون على هذه الوقاحة ؟ »

● **الإشهار وانعدام الحشمة** : عديد من إعلانات الاشهار تحمل فقرات تتناقض والاخلاق الاسلامية والحشمة والحياء اللازمين داخل كل مجتمع إسلامي، ونصر على الاشهار دون غيره لأن الفيلم الواحد منه يعرض مرتين أو ثلاث مرات كل يوم وطيلة أسابيع متعددة، والكثير من أشرطته تحمل في معانيها وصورها استخفافا بعقول المتفرجين وضربا عرض الحائط بدينهم ومعتقداتهم، كما أن تكرار هذه المشاهد وتردادها يعد استفزازا لمشاعر المومنين وتحديا لإيمانهم وإسلامهم.

فما معنى أن تخرج امرأة شبه عارية من البحر، تمشي مشية الفاتنة، وتنظر نظرات الزانية لتدخل بعد مشيتها البطيئة بيتا تجد فيه « جيدور »، ومدة ظهور المرأة الفاتنة الكاسية العارية يفوق بكثير مدة اظهار المنتوج المشهر له ؟ وقس على ذلك شطحات السمورف[30] التي لا تمت إلى مجتمعنا بصلة، والمرأة التي تتعطر بعطر قصد الفتنة والاغواء وما شابه ذلك من رقصات وكلمات وغمزات تجد مرجعها في موسوعة الانحلال الخلقي !!!

والعديد من هذه الأشرطة الخاصة بالاشهار مستورد من الغرب ولا يتناسب على الاطلاق مع مجتمعنا وحاجياتنا بل وفنون طبخنا ! هذا علاوة على التناقض الصريح بين الدعوة للتوفير والتشجيع على الاستهلاك !!! فأين هذه الأشياء من تعاليم مذهب الامام مالك رضي الله عنه ؟ وليعذرنا أهل الاشهار، فلعل فيما يقدمونه ما يتناسب ومذهب الامام مال..ك مع حذف حرف الكاف، فالاشرطة الاشهارية قد اتخذت من المال إما مًا تتبع خطواته حيث حل على حساب الأخلاق والضمير وجودة الاخراج !

خاتمة

لم نهدف من خلال هذا العرض أن تنقلب البرامج التلفزية إلى برامج دينية صرفة لا أثر فيها لتسلية أو فكاهة، ولكن كان قصدنا إبراز ضعف البرامج الدينية التي هي انعكاس غير مباشر لضعف الانتاج الوطني مع توفر الوسائل للرفع من مستوى ومدة تلك البرامج على الصعيد المحلي، والحرص على إبراز اسلامية شعبنا وبلدنا في إعلامنا التلفزي.

بقي أن نحيي بحرارة أولئك الذين يسهرون جنب الهاتف أو التلكس أو الذين يقضون أغلب الأوقات في التحقيق والبحث لتمكين المواطن من الاطلاع على ما يجري داخل البلاد وخارجها، كما أننا لا نستهين بما يبذله إخواننا في استوديوهات التلفزة للترفيه على المواطن وتثقيفه، مشيرين إلى أن استلهامهم للمنتجات الغربية الجاهزة، وانقباضهم الملاحظ عن دفع كل الطاقات صوب الانتاج الوطني لقلة في الاعتمادات وخوف من النقد، يجعل بينهم وبين من يعملون من أجلهم سدا منيعا حجمه حجم ما بين الكاميرا والشاشة، وحافزا قويا لا تخرقه الا البرامج الجيدة والانتاج المتقن.

محمد بريش

الرباط - أكتوبر - نوفنبر 84

الهوامش

(1) « نظرات في مسيرة العمل الاسلامي »، عمر عبيد حسنه، كتاب الأمة، العدد 8، الطبعة الأولى محرم 1405 - اكتوبر 1984، ص 85.

(2) « غياب الترابط بين مادة التربية الاسلامية وبعض المواد المقررة - نموذج : مقررات مادة اللغة الفرنسية »، محمد بريش، الهدى العدد العاشر صفر، ربيع الأول 1405 - نوفنبر، دجنبر 1984، ص 10.

(3) « وسائل الاعلام وأثرها في شخصية الفرد » مصطفى أحمد التريكي، عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع يناير - فبراير - مارس 1984، ص 105. ويلاحظ أن مجموع النسب يفوق المائة، ذلك أن الطفل قد يستمع إلى الراديو تارة ويقرأ تارة ثم يفضي إلى مشاهدة التلفزة.

(4) خصوصا بالنسبة للبرامج التي يمكن استنتاج مضمون موضوعها من خلال مشاهدة الصور، وإلا فمعرفة اللغة ضرورية لتتبع هذه البرامج، خاصة وأن أغلبها يكون بالفرنسية حتى بالنسبة للرسوم المتحركة.

(5) « وسائل الاعلام وأثرها في شخصية الفرد »، مصطفى التريكي، ص 101.

(6) المرجع السابق، ص 104

(7) جريدة أنوال، العدد 156، الخميس 13 دجنبر 1984، ص 14.

(8) في بعض الاعياد والمناسبات الدينية، تقدم بعض الافلام والأغاني على أنها دينية، وهي ليست من الدين في شيء سوى أنها تتناول حسب منهجيتها أنبياء الله بصورة تراجيدية، وشخصيات وأحداث إسلامية متأقلمة مع ما يتطلبه التشخيص الفني - الغربي الأصل - من إضافات خيالية في بيئة الشريط ونصه المسرحي. وغريب أن تنسب هذه الافلام والاغاني الى الدين، فشريط يتحدث عن جيولوجيا الاتحاد السوفياتي لا يمكن عده شريطا ماركسيا مهما أبدع صاحبه في الاخراج !

(9) لم يكن أسبوعنا النموذجي غنيا من حيث الرياضة حيث لم يكن فيه أي نقل مباشر أو غير مباشر لاية تظاهرة رياضية، وإلا كانت الحصة الرياضية تضاعف عددا من المرات البرامج الدينية، علما بأننا لم نأخذ بعين الاعتبار الاخبار الرياضية التي تكون في آخر الاخبار الرئيسية الا تلك التي أعلن عنها في قائمة البرامج الرسمية.

(10) استخرجنا وقت الاشهار من مدة الاخبار، لكون البرامج الأخرى غالبا ما تكون مسجلة قبل البث ولا تعرض بصفة مباشرة، وبالتالي يمكن معرفة مدتها مسبقا مما يمكن المشرفين على البرامج من تحديد وقت البدإ في العرض ونهايته، ولكون الاشهار تعرض غالبيته قبل الاخبار وبعدها مباشرة وبصفة مكررة، وبذلك انتقلت نسبة الاخبار بجدول النسب من 25،17 % الى 19،82 %.

(11) تخصص الأذاعة ثلاث فترات يومية للقرآن الكريم، الأولى في بداية الفترة الصباحية على الساعة السادسة صباحا مع حصة التفسير، والثانية في الزوال دون تفسير، والثالثة في الخامسة مساء مع التفسير عدا يوم الجمعة الذي تطول فيه الحصة الزوالية على المعتاد، أما مدة هذه الحصص، فهي ما يقرب من 25 الى 30 دقيقة بالنسبة للحصة الأولى والثالثة، و15 دقيقة بالنسبة للثانية.

(12) تشير نتائج إحصاء 1982 إلى أن معدل الأمية بالمغرب يناهز 65 % لمجموع السكان، مع ارتفاع هذا المعدل إلى 78 % بالعالم القروي.

(13) سورة المطففين، الآية، 26.

(14) يشير إحصاء 1982 أن نسبة العارفين باللغة الفرنسية في الوسط الحضري يعادل 35 %، وبما أن 8 أشخاص من بين 10 أميين في الوسط القروي، وقليل من 20 % الباقية يعرف اللغة الفرنسية، فإن نسبة العارفين بالفرنسية لمجموع السكان تتراوح بين 17 % و20 %، أي ما يقارب الخمس من ذلك المجموع، وهذا يعني أن أربعة أخماس المواطنين لا تفهم مضمون 50 % من برامج التلفزيون.

(15) سبق أن أشرنا إلى أننا لن نخوض في الحكم الدقيق على مواضيع برامج الأسبوع النموذجي، ونحن هنا لن نتكلم عن محتوى البرامج المدرجة في الاسبوع بعينها، وإنما سنتكلم عن البرامج الدينية المعروضة بالتلفزة بصفة عامة.

(16) ليس العيب في الاستيراد إذا كانت الاشرطة المستوردة تعرض قضايا من تاريخنا القديم والمعاصر بكيفية نزيهة وشيقة، أو تناقش من وجهة نظر إسلامية مشاكل معاصرة نواجهها يوميا ونحياها، ولكن العيب أن لا نشارك في ذلك ولا نساهم في انتاج ما يعرف بتاريخ المغرب والأعلام المسلمين المغاربة والاندلسيين بصفة خاصة، وأعلام الامة الاسلامية شرقا وغربا بصفة عامة.

(17) استفدنا في هذه الفقرة من مقال الدكتور عبد العزيز كامل : « الاعلام الديني والتربية » المنشور بمجلة المسلم المعاصر - العدد 32، شوال - ذو القعدة - ذو الحجة 1402، ص 73 - 92.

(18) المرجع السابق، ص 76

(19) مجموع الانتاج الوطني 255 دقيقة في أسبوعنا النموذجي، أي أربع ساعات وربع موزعة كما يلي :

- أغاني وموسيقى : 70 دقيقة،
- مجلة الثقافة والفن : 15 دقيقة،
- ركن المفتي : 60 دقيقة،
- رواية : 60 دقيقة،
- تلفزيون 3 : 60 دقيقة،
- كاميرا خفية : 20 دقيقة

(20) « صورة العربي في الاعلام الامريكي »، شاهين ج جاك بترجمة الدكتور جاسم محمد جرجيس، مجلة « التوثيق الاعلامي » الصادرة عن مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي - بغداد، المجلد الثاني، العدد الأول 1403 / 1983 م ص 29.

(21) المرجع السابق، ص 30 و31.

(22) المرجع السابق، ص 31

(23) المرجع السابق، ص 32.

(24) المرجع السابق، ص 41.

(25) والاسلام دين لا يمنع دراسة جوانبه وحقائقه، بل يدعو إلى استخدام العقل والاستنباط للايمان عن صدق ويقين، كما أنه

حدد القواعد العامة للسلطة ولم يسمح في التطرق لما هو لازم معرفته في أمور الجنس. وإذا كان الجهل قد استحوذ على أكثر العقول إبان عصر الانحطاط، فجعلهم يحرمون كل خوض في هذه الأمور، ويعتبرون كل دراسة واجتهاد بدعة وضلالة، فما ذنب الدين، والمقصود به الاسلام، في مصير ذلك الثالوث الطيب ؟

(26) « وسائل الاعلام وأثرها في شخصية الفرد »، مصطفى أحمد التريكي، المرجع المذكور سابقا.

(27) « التلفزيون والعنف » ميشلين بارين، مختص في علم الاجرام بجامعة مونريال بكندا، نشرت دراسته هذه بالفرنسية مجلة «الأمن الوطني» عدد 1983/139 ص 8 نقلا عن المجلة الدولية للشرطة الجنائية عدد 1983/371. وتبني ادارة تعلم حجم ملف الإجرام والمجرمين بكل حيثياته لهذه الدراسة يظهر مدى مساهمة البرامج التلفزية في تنشيط عوامل الاجرام لدى الافراد الميالين للجريمة،

(28) جريدة العلم، العدد 12،502، الاثنين 11 صفر موافق 5 نوفنبر 1984، ركن صواريخ تلفزيونية، ص 5.

(29) الموسيقى شيطانية في تلاعبها بالآيات وترتيلها بمصاحبة الآلات والوقوف وسط الكلمات،

(30) وأنا أستعد لمد هذه الورقات للمجلة، أرى وأسمع بالتلفزة عن مباراة هي الثانية من نوعها لرقص « السموروف » مع صور لطفل يتموج فوق سرير وضع لذلك، وجمهور بقاعة العرض يوحي بالضحك، ومن الهم ما يضحك ! ثم أمر قرب مسجد بدر بعد صلاة المغرب لاجد الشارع المؤدي إلى قاعة ابن ياسين ممنوعا، ولمزيد من الفضول وضعت السيارة جنبا ومضيت نحو القاعة لألاحظ الاعلان المكتوب بخط بارز عن تاريخ المباراة (85/1/2) والستة والعشرون درهما للمشاركة فيها، وكان سرب الاطفال والشباب من الكثرة بحيث لم يستطع رجال الأمن طردهم ومنعهم من الازدحام حولها. وقلت في نفسي فتنة والله فتنة، لم يكفنا اعوجاج بعضنا في الفكر، لنضيف له اعوجاج حركات الجسم ! وكنا نستغرب بالامس القريب من أطفال تشاهدهم في الازقة والشوارع أمام المدارس أو الثانويات، همهم الوحيد الاعوجاج والاسترخاء فوق قارعة الطريق أو سطح السيارات، بدل الاهتمام بتسديد الفكر والحرص على اقتباس العلم المستقيم، فإذا بالاعوجاج ينظم ويؤطر ليصبح فنا !!

ملحق 1

« مدة البرامج ونسبتها لمجموع وقت البث حسب أيام الأسبوع »

الايام / البرامج		قرآن كريم	أخبار	رياضة	رسوم متحركة	شريط وثائقي	برنامج أدبي		فلم أو مسلسل		موسيقى وأغاني		برامج دينية	روايات	برامج تسلية	مجموع الإنتاج الوطني	مجموع الإنتاج الأجنبي	مجموع وقت البث
							وطني	غربي	عربي	غربي	وطنية وعربية	غربية						
الاثنين	المدة	10	49	30	45	-	-	-	50	100	-	-	-	-	-	87	195	292
	النسبة	3،42	16،78	10،27	15،41	-	-	-	17،12	34،25	-	-	-	-	-	30،36	69،64	100
الثلاثاء	المدة	10	238	-	45	-	30	-	-	50	-	-	-	-	-	297	75	382
	النسبة	2،62	62،30	-	11،78		7،85	-		13،10	-	-	-	-	-	79،84	20،16	100
الاربعاء	المدة	10	48	-	45	30	-	45	90	-	-	-	-	-	-	57	210	277
	النسبة	3،61	17،33	-	16،25	10،83		16،25	32،50	-	-	-	-	-	-	21،35	78،65	100
الخميس	المدة	10	43	25	75	40	-	-	85	-	15	-	-	-	-	92	200	302
	النسبة	3،31	14،24	8،28	24،83	13،25			28،15	-	4،97	-	-	-	-	31،51	68،49	100
الجمعة	المدة	10	48	15	20	-	-	-	-	55	-	-	60	60	-	147	120	277
	النسبة	3،61	17،33	5،42	7،22	-	-	-	-	19،86	-	-	21،66	21،66	-	53،06	43،32	100
السبت	المدة	10	48	-	20	-	-	-	-	45	30	55	-	-	80	137	150	297
	النسبة	3،37	16،16	-	6،73	-	-	-	-	15،15	10،10	18،52	-	-	26،93	47،74	52،26	100
الاحد	المدة	10	53	-	20	-	-	-	-	90	55	30	-	-	-	117	140	267
	النسبة	3،75	19،85	-	7،49	-	-	-	-	33،71	20،60	11،24	-	-	-	45،53	54،47	100
المجموع	المدة	70	527	70	270	70	30	45	225	340	100	85	60	60	80	934	1090	2094
	النسبة	3،34	25،17	3،34	12،90	3،34	1،43	2،15	10،74	16،24	4،76	4،06	2،87	2،87	3،82	46،15	53،85	100

ملحق 2

برامج الأسبوع حسب الأيام

اليوم الأول : الاثنين 5 محرم 1405 هـ موافق فاتح أكتوبر 1984

أوقات البث	البرامج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة لمجموع وقت البث	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني		02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,71	-
	دعاء - أوقات الصلاة - عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	رسوم متحركة : مغامرات « زينة النحلة »	رسوم متحركة	20	6,85	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,71	وطني
19/35	سلسلة الأطفال « طوم وجيري »	رسوم متحركة	25	8,56	غربي
20/00	العالم الرياضي	رياضة	30	10,27	وطني
20/30	الأخبار الرئيسية	أخبار	30	10,27	وطني
20/00	المسلسل العربي « العملاق » عن قصة عباس محمود العقاد	مسلسل عربي	50	17,12	عربي
21/50	الفلم الدولي : « موت مشبوهة »	فلم غربي	100	34,25	غربي
23/30	الأخبار الأخيرة	أخبار	14	4,80	وطني
	أوقات الصلاة - عرض البرامج	-	02	-	-
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,72	-
23/50	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجموع وقت البث	292		

اليوم الثالث : الاربعاء 7 محرم 1405 هـ / موافق 3 أكتوبر 1984

أوقات البث	البرامج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,80	-
	دعاء - أوقات الصلاة - عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	رسوم متحركة : «مغامرات زينة النحلة»	رسوم متحركة	20	7,22	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,80	وطني
19/35	دمى متحركة : « فراكل روك »	رسوم متحركة	25	9,03	غربي
20/00	شريط وثائقي : «صديقي الفرس »	شريط وثائقي	30	10,83	غربي
20/30	الأخبار الرئيسية	أخبار	30	10,83	وطني
21/00	المسلسل العربي « العملاق » عن قصة عباس محمود العقاد	مسلسل عربي	90	32,50	عربي
22/30	الملف الأدبي « أرغون »	أدباء من الغرب	45	16,25	غربي
23/15	الأخبار الأخيرة	أخبار	13	4,70	وطني
	أوقات الصلاة - عرض البرامج	-	02	-	-
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,80	-
23/35	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجموع وقت البث	277		

اليوم الثاني : الثلاثاء 6 محرم 1405 هـ موافق 2 أكتوبر 1984

امتاز هذا اليوم بعرض نتائج الانتخابات التشريعية غير المباشرة، وهو حدث وطني هام يستحق كل عناية واهتمام من طرف الاذاعة والتلفزة.وقد قامت بتغطيته تغطية تامة، وجندت له ما يلزم من أطر وأجهزة بتعاون مع وزارة الداخلية.

أوقات البث	البرامج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,31	-
	دعاء أوقات الصلاة - عرض البرامج			-	-
19/10	رسوم متحركة للاطفال « النسر الذهبي »	رسوم متحركة	20	5,24	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,31	وطني
19/35	رسوم متحركة « كويكي كوالا »	رسوم متحركة	25	6,54	غربي
20/00	« مجلة الثقافة والفن » : الموسم الثقافي السابع لمدينة أصيلا - لقاءات ثقافية وفنية مع : محمد بنعيسى، أحمد عبد السلام البقالي، الرسام على الادريسي مع عروض من الموسم. تقديم العربي تركة	ثقافة وفن	30	7,85	وطني
20/30	الأخبار الرئيسية	أخبار	30	7,85	وطني
21/00	المسلسل الدولي « علامة العدل »	مسلسل دولي	50	13,10	غربي
21/50	نتائج الانتخابات التشريعية	أخبار	203	53,14	وطني
1/13	عرض برامج الغد - أوقات الصلاة	-	02	-	
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,31	
1/20	ختام البرامج بالسلام الوطني		02	-	-
		مجموع وقت البث	382		

اليوم الرابع : يوم الخميس 8 محرم 1405 ه موافق 4 أكتوبر 1984

أوقات البث	البـــرامـــج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,66	-
	دعاء ـ أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	رسوم متحركة للاطفال « النسر الذهبي »	رسوم متحركة	20	6,62	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,66	وطني
19/35	سلسلة الأطفال « طوم ساوير »	رسوم متحركة	55	18,21	غربي
20/30	الأخبار الرئيسية	أخبار	30	9,93	وطني
21/00	ملخص كؤوس أوروبا لكرة القدم	رياضة	25	8,28	وطني (!)
21/25	فلم وثائقي إخباري : « النيل »	شريط وثائقي	40	13,25	غربي
22/05	أفلام المغرب العربي « عبور » إخراج محمد بنمحمود (تونس)	فلم تونسي	85	28,15	عربي
23/30	الطرب الأندلسي	طرب أندلسي	15	4,97	وطني
23/45	الأخبار الأخيرة	أخبار	8	2,65	وطني
	أوقات الصلاة لعرض البرامج	-	02	-	-
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,66	
00/00	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجمـــوع وقت البث	302		

اليوم الخامس : الجمعة 9 محرم 1405 هـ / موافق 5 أكتوبر 1984

أوقات البث	البرامج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,80	-
	دعاء ـ أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	رسوم متحركة : «مغامرات زينة النحلة»	رسوم متحركة	20	7,22	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,80	وطني
19/35	السلسلة الدولية «المنزل الصغير »	مسلسل غربي	55	19,86	غربي
21/00	العالم الرياضي	رياضة	15	5,42	وطني
21/15	ركن المفتي/إعداد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية	فتاوي دينية	15	5,42	وطني
21/30	المسلسل الديني «من قصص القرآن»	قصص القرآن	45	16,25	عربي
22/15	روايات من هنا «صور عائلية : القاسمي»	رواية	60	21,67	وطني
23/15	الأخبار الأخيرة	أخبار	13	4,70	وطني
	أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	02	-	-
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,80	-
23/35	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجمـــوع وقت البث	277		

اليوم السادس : «عاشوراء» السبت 10 محرم 1405 ه موافق 6 أكتوبر 1984

أوقات البث	البـــرامـــج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,68	-
	دعاء ـ أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	رسوم متحركة « النسر الذهبي »	رسوم متحركة	20	6,73	عربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,68	وطني
19/35	منوعات دولية « مع عمر شريف»	أغاني دولية	55	18,52	غربي
20/30	الأخبار الرئيسية	أخبار	30	10,10	وطني
21/00	الكاميرا الخفية	تسلية	20	6,73	وطني
21/20	المسلسل الدولي : طريق الفلامينكو»	مسلسل غربي	45	15,15	غربي
22/05	تلفزيون ـ 3	تسلية	60	20,20	وطني
23/05	أغنية مختارة : عايز جوبانك للمطربة نجاح سلام	أغنية عربية	30	10,10	عربي
23/35	الاخبار الاخيرة	أخبار	13	4,38	وطني
	أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	02	-	-
	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,68	
55	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجمـــوع وقت البث	297		

اليوم السابع : الاحد 11 محرم 1405 هـ / موافق 7 أكتوبر 1984

أوقات البث	البرامج	تصنيفها	المدة بالدقيقة	النسبة	نوع الانتاج
19/00	افتتاح الارسال بالسلام الوطني	-	02	-	-
19/02	القرآن الكريم	قرآن كريم	05	1,87	-
	دعاء ـ أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	03	-	-
19/10	سلسلة الأطفال : « الاخوان جاكس »	رسوم متحركة	20	7,49	غربي
19/30	موجز الأخبار	أخبار	05	1,87	وطني
19/35	مواهب ونجوم ـ لعبد النبي الجراري	أغاني	55	20,60	وطني
20/30	الاخبار الرئيسية	أخبار	30	11,24	وطني
21/00	أفلام المخرجين«من أجل الحياة»	فلم غربي	90	33,71	غربي
22/30	موسيقى كلاسيكية «كورال لعصر النهضة»	موسيقى	30	11,24	غربي
23/00	الاخبار الاخيرة	أخبار	18	6,74	وطني
	أوقات الصلاة ـ عرض البرامج	-	02	-	-
	القرآلكريم	05	1,87	-	
23/25	ختام البرامج بالسلام الوطني	-	02	-	-
		مجمـــوع وقت البث	267		

مصير الجهاد الافغاني في مسؤوليات المسلمين

عبد الله عزام

هذا هو العام الثامن قد انصرم منذ أن بدأت الصفوة الاولى من الشباب المسلم معركتهم الاولى ضد حكم داود الشيوعي في أفغانستان.

وخلال هذه الفترة قدم الشعب الافغاني من التضحيات في سبيل عقيدته ودينه ما يصلح رصيدا ضخما للسائرين على طريق هذا الدين لعدة قرون قادمة. ولقد قدم لنا هذا الشعب البسيط المؤمن من خلال تجربته التي خاضها بدمه وأرواح أبنائه الكثير :

1 - فلقد أثبت للدنيا بأسرها أن قوة العقيدة لا تقهر وأن عزيمة الايمان لا تهزم.

2 - لقد هز الارض من تحت أقدام روسيا وزلزل الارض بها حتى باتت روسيا تشعر بضآلتها أمام هذا الشعب الفقير. ولقد وصل الامر بجنود الروس أن يكتبوا للمسؤولين في روسيا : ان الافغانيين لا يموتون. فمن العبث محاولاتنا في أفغانستان.

3 - لقد ارتفعت معنويات هذا الشعب فأصبحوا يظنون « أن أسلحة الروس لا تضرهم و لا تهزمهم ».

4 - لقد أدخلوا الاسلام في حلبة الصراع الدولي فأصبح العالم يحسب له ألف حساب حتى أنه قُدم على التلفاز الامريكي تصريحات لمراقب، يتوقع بأن الاسلام سينتصر وأنه سيدخل روسيا وتسقط روسيا ثم يجتاح أوروبا وبعدها تتحالف أمريكا مع أوروبا وروسيا وتهزم الاسلام.

5 - إن الفرصة الآن ذهبية وسانحة لاقامة دولة إسلامية في افغانستان بعد انتصار المجاهدين الذين يعدون بالمليون، وهدفهم واحد لا يتلعثمون فيه : « **لتكون كلمة الله هي العليا ولاقامة حكم الله في الارض** ». لقد سألت الكثيرين من الصبيان الجرحى الذين هم في سن الثانية عشرة والحادية عشرة، إلى الشيخ الكبير الذي يستلقي على سريره في المستشفى والذي قد بلغ المائة وأربع سنوات من عمره، فإجابتهم واحدة واضحة في أذهانهم دون لبس أو غموض لهدف جهادهم.

ولكني أعود وأقول وأكرر :

إنها الفرصة الذهبية السانحة الآن في الارض كلها **لاقامة حكم الله في الارض.**

والذين لهم دراية بأمور الجهاد في العالم يعلمون جيدا صعوبة تجميع الناس على القتال ويدركون أكثر من غيرهم كيف يربون الانسان نظريا على حب الجهاد والاستشهاد حتى إذا اشتد الوطيس واحمر الحدق يتلفتون حولهم فلا يجدون إلا القليل القليل من هؤلاء الذين تربوا منذ نعومة أظفارهم على هذه المعاني السامية الرفيعة. وقضية العدد الكبير مسألة صعبة في دنيا القتال حتى أن الله عز وجل يقول عن صفوة الخلق بعد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

« **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ؟ لولا أخرتنا إلى أجل قريب** » (النساء 77).

ويقول سبحانه :

« **يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنمايساقون إلى الموت وهم ينظرون** » (الانفال 6). فعالم النظريات غير عالم الواقع، ودنيا الكلام غير دنيا التطبيق. أين تجد الآن في العالم شعبا زاهدا بطبيعته، محاربا بفطرته، متقشفا وعزيزا بسليقته، كالشعب الافغاني. قل لي بربك أين تجد مليونا من الشباب الذي يتوقد حماسا يستعد للموت... يأكل الشوق للجهاد قلبه، إلا في أفغانستان !؟

أين تجد جيشا كاملا من المتطوعين للقتال لا يأخذون روبية واحدة في الشهر وأحسنهم حظا من يجد لقمة العيش من قائده إن استطاع تقديمها.

أين تجد حدودا تمتد (4000) كلم (أربع آلاف كيلومتر) مفتوحة على مصراعيها لمن أراد أن يدخل أو يخرج يحمل القذائف على كتفه إلا على حدود أفغانستان ؟

أين تجد مناطق في العالم يباع فيها السلاح والذخيرة والقذائف ومضادات الدبابات والغامها، والرشاشات بأنواعها كما يباع الكوسى والباذنجان والبندورة في بلادنا الا على حدود أفغانستان ؟

إن الذين يبحثون عن مخرج عليهم أن يستيقظوا من سباتهم قبل فوات الأوان.

إن الفرصة لازالت سانحة، وإن شاء الله، وبقليل من الجهد يمكن كسب الوقت حتى لا يجني أعداؤنا ثمار هذه الدماء ويأخذوا حصاد هذه التضحيات...

كنت أقرأ عن زهد عمر رضي الله عنه فكأني أسمع ضربا من الخيال ولكني رأيته واقعا عندما رأيت بيت الشيخ سياف الذي يسكنه طينيا وأرضه ترابية ومضافته لاستقبال الضيوف خيمة، ونفقته ريال ونصف.

كنت أحتار أن اجد تفسيرا في الجيوش الاسلامية التي كانت تجوب الأرض أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دون رواتب من الدولة فوجدت مليون أفغاني مجاهد لا يستلم الواحد منهم روبية واحدة.

كنت أسمع عن قصص السابقين في البذل والتضحية فوجدت الافغاني يبيع عنزه أو شاته ليشتري طلقة واحدة (كان ثمن الطلقة في بداية الجهاد ثلاثة دولارات)، ويبيع ستمائة رأس من الغنم ليشتري سلاحه الفردي لأن قطعة السلاح كان ثمنها ستمائة دينار كويتي في السوق السوداء.

لقد شعرت بصغر نفسي وقزامتها أمام سائق سيارة لأحد القادة وهو يعيش بستمائة روبية، منها أجرة بيته وطعام أسرته ودواؤهم، (15 دينارا كويتيا)، بينما يملك هذا السائق ناقلتين كبيرتين قد سخرهما لخدمة المجاهدين ولأغراض الجهاد وقد دفع له ثمن احدى السيارتين مليونين وثلاثمائة الف روبية افغانية فأبى أن يبيعها.

يحدثني شاب بل شباب من الدول البترولية متعجبين :

بأن الكلاب في باكستان تأكل الخبز.

قالوا : ان الكلاب في بلادنا لا تأكل الخبز ولا الرز لانها اعتادت ان تأكل اللحم فقط وانك لتذهل اذا رأيت اكوام الرز واللحم التي تدفن مساء كل خميس في رمال الصحراء، فقلت لهم : ان البشر لا يجدون الخبز، وان المجاهدين في أفغانستان احيانا لا يجدون الا ما تنبته الارض وما يجدونه على الاشجار في الجبال من ثمار حتى بقيت فرقة عدادها ثمانية الاف مجاهد شهرين كاملين تعيش على هذه الثمار وعندما انتهت الثمار في المنطقة اضطروا لتركها.

ولكننا نضع أمام المسلمين الحقائق التالية، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

1 ـ لا يوجد في ساحة الجهاد طبيب مسلم واحد إلا مجموعة من الاطباء (حوالي العشرة) من الافغانيين. والجبهات حوالي ألف جبهة بينما تعج الساحة بمبعوثي التبشير وبعض المستشفيات المتنقلة من أمريكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا !

2 ـ لا يوجد في ساحة القتال صحفي مسلم واحد و لا مراسل صحفي واحد من المسلمين بينما تجد الكثيرين من الغربيين ومراسلي وكالات الانباء.

3 ـ لا يوجد في أرض المعركة مصور مسلم واحد ولم تقم محاولة واحدة جادة لعمل فيلم عن الجهاد الافغاني اللهم إلا شاب مسلم من بريطانيا وقد جرح أثناء عملية التصوير. يقول سياف (يحدث يوميا مائة معركة، أحيانا، تذكرنا ببدر وبأحد، لا تجد قلماً صادقا يكتبها و لا فماً مخلصا يبثها).

4 ـ إن كثيرا من المجاهدين يتناوبون الاحذية فالذي يذهب إلى المعركة ينتعل حذاء والذي يبقى في القاعدة يبقى حافيا.

5 ـ لقد مضى على أربعة آلاف مجاهد في معسكر ورسك قرابة ثلاثة أشهر من الشتاء لا يجد الواحد منهم بطانية و لا خيمة حتى رآهم الشيخ ناصر الرشيد، المراقب المالي للهلال الاحمر السعودي، فاشترى لهم على حسابه الخاص، جزاه الله ألف خير، ألف خيمة مع البطانيات ومضى معظم فصل الشتاء على قرابة ألفين وخمسمائة من المجاهدين في معسكر أبي بكر الصديق بدون خيام وبدون غطاء ولو بطانية واحدة حتى بادر الشيخ ناصر الرشيد واشتراها على حسابه الخاص.

6 ـ إن كثيرا من المجاهدين تقطع أصابعهم من الثلج والجليد لان أحذيتهم سيئة وخفيفة، و لا تقي المجاهد مغبة الثلج. لان ثمن الحذاء يساوي مائة روبية باكستانية على الاقل وهم مليون مجاهد فيحتاج المجاهدون لاكثر من مائة مليون روبية لاحذيتهم فقط، وان الحذاء لا يكفي سوى لغزوة واحدة.

7 ـ يحدثني محمد صديق قائد منطقة كابل قائلا : بأنه رأى امرأة تترك أحد أبنائها في الثلج لانها لا تستطيع حمله وليس معها أجرة دابة تركب أولادها عليها.

8 ـ لم يدخل ساح القتال، من غير الافغانيين، سوى النزر اليسير الذي لا يذكر وأما الذين استمروا معهم من المسلمين في المعركة فهم دون أصابع اليدين بينما نجد بجانب الشيوعيين من كوبا والمانيا الشرقية ومن اليمن الجنوبية الشعبية الكثيرين.

على المسلمين أن يستيقظوا قبل فوات الاوان.

فروسيا الآن تريد أن تنسحب بطريقة تحفظ لها ماء وجهها أمام دول العالم وبخاصة الدول التي تدور في الفلك الاشتراكي والمبهورة بالوطن الام، روسيا، فأوكلت إلى أمريكا البحث عن البديل المناسب. لانها لن ترضى أن يكون البديل هو الاسلام.

لقد وصل التسابق للاتصال بقادة المجاهدين من قبل الدوائر السياسية الغربية إلى حد الابتذال. حتى أن السفراء والقناصل الغربيين يصلون إلى أبواب قادة الجهاد في بشاور، فيردهم الصادقون ويتلقاهم الساقطون.

إن الجهاد يمر الآن في مرحلة دقيقة جدا فلم يبق في يد الروس إلا بعض مراكز المحافظات التي يعيشون فيها كالفئران في الجحور. حتى أنهم لم يعودوا يجرؤا ان يسيروا بقوافل الدبابات على الطرقات وأصبح تزويدهم بالطعام والدواء والسلاح بواسطة طائرات الهليوكبتر.

هذه المراكز تحتاج إلى أسلحة ثقيلة لفتحها وإلى ذخائر كثيرة لتحطيم شوكتها وشراء الذخائر يحتاج إلى أموال.

هل يفطن المسلمون إلى مسؤوليتهم فيؤدوا النزر اليسير مما ينفقونه على شهواتهم وكمالياتهم.

إن الصيف القادم ابتداء من هذا الشهر سيشهد معارك ساخنة على كل الجبهات، إن شاء الله وقد تكون المعركة الحاسمة بإذن الله قريبة **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).**

يقسم لي محمد صديق شكري، قائد إحدى الجبهات في كابل، وهو خريج الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، إنه يحكم من أرض كابل نفسها (العاصمة) أكثر من بابراك كارمل ويطبق عليها الاسلام، يالله والله أكبر.

وختاما أقدم اقتراحات :

1 - أن تقيم كل جامعة ومعهد ومؤسسة علمية أسبوعا باسم أسبوع نصرة الجهاد في افغانستان وجمع الاموال وإرسالها مع شخص أو مجموعة إلى بشاور نفسها وتسليمها لرئيس الاتحاد الشيخ سياف.

2 - ان تهتم الصحف الاسلامية بفتح باب خاص في كل عدد للجهاد الافغاني.

3 - أن تخصص كل أسرة مسلمة مصروف يوم واحد في الشهر للجهاد الافغاني.

4 - تنظيم رحلات علمية إلى بشاور لرؤية الجهاد الافغاني حتى ترتفع الهمم وتحيا النفوس برؤية الاحياء.

5 - على الاطباء أن يخصصوا في السنة شهرا واحدا للحياة بين المجاهدين.

6 - على الصحف الاسلامية أن ترسل مراسلا واحدا على الاقل إلى داخل الجبهات... وعلى الذين يتقنون فن الاعلام والتصوير السينمائي أن يأتوا ليعدوا أفلاما عن جهاد لا نظير له في عالم الواقع.

7 - على الدول الاسلامية أن تسمح بفتح مكاتب للمجاهدين الافغان ليعرفوا بقضيتهم ويجمعوا التبرعات لجهادهم.

8 - من أراد أن يحول أي مبلغ فليحوله إلى بيت التمويل الكويتي وليكتب على الشيك : (الجهاد الافغاني) ورقم الحساب - 1920.

إن المسألة يسيرة على من يسرها الله عليه، إنها دراهم معدودة، فيا دعاة الاسلام انتبهوا، ويا مسلمي العالم استيقظوا قبل فوات الاوان.

وحتى لا نعض أصابع الندم ولات ساعة الندم (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) ألا هل بلغت.. ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.

فالمجاهدون بحاجة إلى المال والاحذية والملابس، والبطانيات والخيام...

فهم يفتقدون كل متاع الدنيا وضرورياتها وحاجياتها، يفتقدون كل شيء، ويعوزهم كل شيء.

إلا أنهم يملكون شيئا واحدا وهو أثمن من كل شيء وهو الايمان بالله، والرضا بالقضاء، والصبر على البلاء والجهاد بحاجة إلى أصحاب الكفاءة والطاقة الفنية، إنهم بحاجة إلى الصحفي المسلم **والطبيب المسلم والمهندس المسلم في الكهرباء والكيمياء والالكترونيات والعالم : الذي يقيم بينهم فيعلمهم أمور دينهم إذ أن طلائع الموجهين والبعث الاسلامي قد سقط معظمهم وقودا لمعركة الاسلام ومن أجل رفع رايته.**

يقول سياف : كان عدد الصفوة الاولى ممن يمسكون زمام التوجيه والتربية في العمل الاسلامي (مائتين وسبعين) مربيا لم يبق منهم سوى ثمانية. سألني بعض الاخوة هل الجهاد الافغاني بحاجة إلى رجال ؟

فأجبتهم إجابة قريبة من إجابة سياف :

« الجهاد بحاجة إلى مال والرجال بحاجة إلى الجهاد ».

إن الذي فطر النفوس البشرية، سبحانه، جعلها تتأثر بالوقائع والافعال أكثر من الكلمات والاقوال. فجو التضحية ودفع ضرائب العزة هو أفضل جو تعيش فيه النفوس وتتربى وتصقل الارواح وتسمو، لذا فرؤية النماذج الحية أحسن بكثير من الحياة بين الكتب سنوات.

والذين يقضون إجازاتهم السنوية في أوربا وتركيا وقبرص عليهم أن ينتبهوا أن « سياحة أمتي الجهاد »، حديث صحيح رواه أبو داود. لقد ودعني أحد أساتذة الشريعة قائلا : سأسافر إلى تركيا، نزور عاصمة الخلافة. فقلت : ولماذا لا تزور بيشاور وترى الناس الذين يحاولون إعادة الخلافة، ولكن هيهات هيهات، إنهم لا يعيشون قضية الاسلام و لا يحسون بالحرقة التي تؤرقهم على حال المسلمين وكم يحز في النفس والقلب أن ترى أهم قضية حية في الارض، مهملة في أذهان المسلمين بل بعض الدعاة، ومتروكة في زوايا النسيان سألت بعض الاخوة في باكستان كم أستاذ شريعة في العالم العربي وصل بيشاور في زيارة للتدليل ولو مرة واحدة على الاهتمام بأمر المسلمين فكان الجواب مما تنقبض منه النفس.

لقد خاطبت الاساتذة : المؤتمرين في (المؤتمر العالمي الثاني للاقتصاد الاسلامي) في إسلام آباد أو تريدون زيارة بيشاور ؟ فاعتذر بعضهم بضيق الوقت فقلت لهم : « إني أعتبر أن رجوعكم من إسلام آباد دون زيارة بيشاور موبقة شرعية، أي من الكبائر » لان هذا يعني أنه لم يعد في قلوبكم ذرة من حرقة على أهم قضايا المسلمين في الارض.

قال بعضهم : لقد رتبوا لنا زيارة إلى (سد تربلا Torpelia Dam) فقلت : كان الاولى بهم أن يرتبوا لكم زيارة ليس لسد من التراب والحجارة، ولكن زيارة « السد البشرى » الافغاني الذي يقف أمام الدب الروسي والسرطان الاحمر، بحيث لو انهار هذا السد لوقعت عشرات الملايين تحت أقدام هذا الحيوان الاهوج الشرس. كيف يغيب عن أساتذة الشريعة وعلماء الاقتصاد الاسلامي قوله صلى الله عليه وسلم : **« لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها »**، متفق عليه. كي تعلموا الجيل وترددوا عليهم :

« وباء يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من النوازل » رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وكما مضى

معنا : « **الجنة تحت ظلال السيوف** » متفق عليه. إن زيارة واحدة لارض الجهاد كفيلة بعون الله أن تحيل الانسان إلى كتلة من حماس فيذكر الشهادة والجهاد في نومه ويقظته وفي الحديث « **من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه** » رواه مسلم.

فليتنبه أساتذة الجيل وليحذروا مغبة القعود.

« **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم و لا تضروه شيئا، والله على كل شي قدير** ».

ولينتظروا النكال في الدنيا قبل الآخرة « **من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة** » حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجة. ليت شعري هل يستفيق المسلمون ؟ وهل يتنبهون ؟ « **أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** » ليعلم ذووا الكفاءة والطاقة التي يحتاج إليها الجهاد أن الجهاد بالنفس في حقهم فرض عين. فإما المشاركة وإما العذاب. وعلى كل مسلم أن يدلي بدلوه في هذا الميدان وأن يشارك في الجهاد كل على قدر طاقته و لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها.

مرحبا بالجريدة الإسلامية الجديدة

صدر العدد الأول من جريدة «**السنة**» مساهمة في تعديد الصوت الاعلامي الاسلامي، وتنويع منابره الثقافية، لتسليح القارىء المسلم بالزاد الذي يحميه من الانهيارات أمام التيارات الزائفة، نرجو من الله تعالى أن يوفق المشرفين عليها إلى ما فيه خير الاسلام والمسلمين، ويجنبهم العثرات، ويعينهم على تحمل الأمانة مثابين مأجورين إن شاء الله.

مع الكتب :

ثغرة في الطريق المسدود

دراسة في البعث الحضاري

عرض : د. أبو عمر

تأليف : د. سيد دسوقي حسن،
ود. محمود محمد صقر

تقديم : د. أحمد كمال أبو المجد
نشر : دار آفاق الغد ـ القاهرة
الطبعة الاولى 1401-1981

المؤلفان :

1) الدكتور سيد دسوقي حسن : متخرج من كلية الهندسة بالقاهرة، ماجستير ودكتوراة من أمريكا أستاذ هندسة الطيران بكلية الهندسة بجامعة القاهرة رجل متواضع صامت عميق التفكير قوي الملاحظة، دقيق التنبه، ذو تجارب في الحياة الفكرية والعلمية، وهو في نحو الاربعين ونيف من عمره.

2) الدكتور محمود محمد صقر : من أسرة عريقة من الشفا الاصطيافية الشهيرة بالطائف، متخرج من كلية الهندسة بالقاهرة، الهندسة المدنية ماجستير ودكتوراة في الهندسة المدنية من أمريكا في نحو الاربعين ونيف من عمره، عمل أستاذا بكلية الهندسة بجامعة الملك سعود، ثم وكيلا لوزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية، وهو الآن مدير جامعة الخليج بالبحرين، يمتاز بعمق تفكيره وتواضعه وتفانيه في خدمة التعليم العالي. فقد اضطلع بعدة مسؤوليات في المجالس الجامعية، وهو مؤلف عدة كتب، ويجمع الرجلين الاتجاه الجديد في الفكر الاسلامي وهو التيار الذي بدأه أستاذنا مالك بن نبي رحمه الله في القاهرة منذ سنة 1956، أي منذ وقع اكتشافه على يد ثلة من الشباب المسلم فى ظروف صعبة وخطيرة.

وهذا التيار لا ينضم اليه الا من أوتي عدة خصائص منها : دقة الملاحظة، الاقتصاد في الكلمة والقول، الاهتمام بأصول البعث الحضاري وأسسه، تخطي الاعراض الى جوهر المشكل، التحرر من التفكير الحزبي، تجنب الغوغائية وعدم الاعتزاز بالاجواء الحماسية وأسلوب الاجواق في ابواق السياسة والتواضع، وقبول النقد والملاحظة من اجل تكامل الفكرة والمشروع الى غير ذلك مما كان مالك بن نبي يتحلى به، غير أنه كان أكثر من أقرانه وطلابه توترا وانفعالا لظروف عاشها، وتجارب عاناها، وأهوال قاساها جعلته يعيش في دوامة من الصراع عينفة ظلت بعض آثارها تعمل في نفسه الى أن لقي ربه رحمه الله.

هذا الكتاب من أنفس ما انتجه الفكر الاسلامي باللغة العربية، والملاحظ أن الجودة في هذا المضمار تظل دائما مرتبطة بقلة الكلام وتركيزه. وقد رأينا مالك بن نبي

رحمه الله في كتابه : « شروط النهضة » و « وصية العالم الاسلامي » كيف كان دقيق التعبير مقتصد الكلمات دلالة يحاول ان يدل على الفكرة الكبيرة بأقل عدد من الحروف والكلمات وبأقوى الكلمات دلالة ولو غامر باختراع مصطلحها. ويعرف هذه الملاحظة من يقرأ له بالفرنسية لأن الترجمة العربية رغم ما بذل فيها أصحابها من جهد فانها ظلت بعيدة عن كشف عمق افكار مالك بن نبي رحمه الله.

الكتاب مصدر بأنشودة مركزة على نحو الانشودة التي صدر بها مالك بن نبي كتابه « شروط النهضة » وهذا نصها :

الى الفكر المشرب بالايمان في أفئدة الرجال،

الى الماء الطهور في بطون السحاب الثقال،

ان أرضنا الظمأى تنتظر انهمارك،

ولسوف تنمو بنعمة الله زروع باسقات.

لها طلع نضيد...

فيطيب برحمة الله الحياة... ويحلو الرضا،

وعلى الله قصد السبيل،

ومنها جائر،

ولو شاء لهداكم اجمعين...

قدم الكتاب الدكتور أحمد كمال أبو المجد، وهو رجل من كبار رجال القانون والفكر، عرف مالك بن نبي رحمة الله شابا نابغة داعية خطيبا مفوها مثيرا على المنابر في اوساط العمال والطلبة في فرنسا وهو من أوائل الطلبة المسلمين الذين كونوا النواة الاولى للاتجاه الاسلامي في فرنسا، وقد جاء بعده الدكتور حسن الترابي وغيره ممن يحسن أن ندعو الله لهم بأن يجازيهم أحسن الجزاء على ما قدموا من أعمال مشهودة في أوساط الغرباء بأوروبا.

يقول الدكتور أحمد : انه أحس عند قراءة الاسطر الاولى من هذا البحث أنه ليس مجرد تحليل لواقع أمة ولا هو محض اختيار لواحد من بدائل الاصلاح المعروفة في ساحة العمل العربي والاسلامي. وانما هو جزء من تيار جديد في الاصلاح. ولذلك استحق منه هذا التقديم الذي ركز فيه أهم عناصر الكتاب بأسلوبه وتفكيره. يقول الدكتور أحمد عن هذا الكتاب أنه : « قطعة غالية من نفس المؤلفين وفكرهما وعاطفتهما... أودعا فيه « رؤيتهما » الخاصة لكيفية امساك العالم الاسلامي بطرف الخيط في محاولة النهوض والتقدم وسط تحديات هائلة، بعضها موضوعي خارجي، وكثير منها ذاتي داخلي... » ص : 5.

ويقول :

« ان الحقيقة للدراسة التي بين أيدينا أنها تجاوزت في صمت وهدوء وآفاق الجدل الطويل الذي يملأ على المسلمين حياتهم منذ عشرات السنين، والذي يدور كله في حلقات مفرغة بين ثنائيات مطلقة لا وجود لها الا في خيال المتجادلين » ص : 6.

ثم يقول :

« ولعل أهم ما استخلصه البحث وعرضه في وضوح وصدق ان النهضة الحضارية لا تتحقق بمجرد اعلان المفاهيم والاخلاقيات التي تقوم عليها الحضارة، وانما تتحقق باقامة مؤسسات حضارية نابعة من تلك المفاهيم والاخلاقيات ».

« كما استخلص البحث أمرا بالغ الأهمية وعظيم الأثر في تحديد مستقبل المحاولات التي يشهدها العالم الاسلامي للوصول الى الاقلاع الحضاري... وهو تحديد « المختصين » بممارسة المفاهيم المختلفة الضرورية لانجاز هذا الاقلاع » ص : 9.

ويرى الدكتور كمال أن هذا الحديث :

« انما يحركه حرص واع على اعلاء القيم والاخلاقيات الأساسية التي هي جوهر الاسلام... ورؤية دقيقة « للحركة الداخلية » لعمليات النمو الحضاري، ومعرفة دقيقة بمكونات هذه الحضارة كما تمت في حضارة الغرب » ص : 11.

ويختم تقديمه بهذه العبارة الموجزة الدالة :

« وما أحسب هذه الومضة الا بشيرا بين يدي النور الغامر الذي ينتظر مجيئه الكثيرون ».

انبثقت فكرة هذا الكتاب في حفل خطابي - كما يقول المؤلفان في مقدمتهما - جمع فرسان الثرثرة، وصناضيد الهتافات، ومبدعي الشعارات... وبيادق السفارات... فانبرى أحد تلامذة مالك بن نبي ليقول لجمع التكسير :

« أيها المثقفون العرب... أنتم أخطر داء أصيبت به أمتنا... ولقد أصيبت أمتنا بانفصام شديد في شخصيتها الثقافية على أيديكم... فأصبح يساركم ألف يسار... ويمينكم ألف يمين... ولقد ابتليتم بشهوة الكلام وكراهية العمل ».

كانت لكلمات هذا الطالب أثر في نفس المؤلفين، ودفعت بهما لدراسة القضية خلال ندوات وأحاديث، وهذه باكورة تلك المجموعة الدراسية التي تتعلق بمشكلات نهضتنا.

وهذه الدراسة محاولة لتخليص الفكر العربي خاصة والاسلاميّ عامة من قابلية التجزئة والتذرير، ذلك المصطلح الذي استعمله مالك في وصف الفكر اللاحضاري.

يحتوي هذا الكتاب بعد ذلك على فصول أربعة، ويستغرق الكتاب من أول ورقة الى آخرها مائة صفحة، وهو من الحجم الصغير.

الفصل الأول

بعنوان : ديناميكية التحدي.

يتناول فيه ما يواجهه السعي لبناء حضارة جديدة من تحد، وهذا التحدي مقيد ومشروط. مقيد بقيود ذاتية، بقيود خارجية، ومشروط بشروط موضوعية من ناحية ثالثة.

وجوهر التحدي :

1) القدرة على شحذ الفعالية للامة.

2) القدرة على استيعاب علوم الغرب وتكنولوجياته استيعابا كاملا.

3) القدرة على تبنّي نظم الحضارة المعاصرة أو إبداع البدائل.

4) القدرة على حماية المنجزات الحضارية للامة.

وقد شرح الكتاب كل فقرة من هذه الفقرات.

وتتعلق قدرة الشحذ بالاعداد الروحي من اجل اقلاع حضاري، وهذا الاعداد يجب أن يشحذ الفعالية الروحية بضرورة بعث حضاري، وحتى تحقق ذلك لابد من ان تتصف الاشواق الروحية لبعض الصفات مثل الواقعية حتى لا تصاب باليأس ولا ضير من تعدد طرق بث هذه الاشواق في الارواح والنفوس. فالمهم أن يكون توجيه الطاقة الروحية للامة يصب في اتجاه واحد. ويتولى هذه المهمة النفر القدوة التي تستطييع أن تطبع الفرد والجماعة طبق الاسوة الحضارية والنموذج الفعال في الاقلاع الحضاري.

ثم يرى الكاتب أنه للوصول الى المستوى الحضاري في مجال العلوم والتكنولوجيا **لابد من القدرة على استيعاب علوم الغرب**، ومدخلنا الى ذلك شحذنا الفعالية العلمية للأمة، والسبيل الى ذلك هو جهازنا التعليمي ، أما نقطة البداية فتعليم الحرف وانتشارها بين الاغلبية الساحقة من ابناء المجتمع، ويتوجه قسم التعليم الفني ليكون قادرا على تطوير الحرفية وانمائها. أما الصفوة من ذوي العقول النادرة فتتوجه لتتبع العلوم والنظر في امكانية خدمتها للتكنولوجيا الحديثة.

اننا بوضعنا خطة نلتزم فيها بتزاوج العلم والتكنولوجيا زواج تأبيد مع تبصرنا بالتتابع الزمني في عملية تدريب الامة على الحرف والتكنولوجيا المختلفة نستطيع ان نختصر الاربعة قرون بيننا وبين العالم الغربي الى أربعين عاما بل ربما أقل من ذلك.

ان اصلاح التعليم اصلاحا جدريا وربطه بمبدأ الوظيفة الاجتماعية أولا ثم الاعداد لها ثانيا لهو الخطوة الاولى للتحرك نحو الاستيعاب الذي يعني به الكاتب استيعاب الاصول والطرائق، أما الدقائق فهذه لا يمكن لاصحاب الحضارة منحها وانما تدرك بالممارسة الواعية والتفاعل البناء.

أما القدرة على تبني نظم الحضارة المعاصرة وابداع البدائل فهي شرط ضروري تأهبا لدورتنا الحضارية الجديدة. يجب أن نعترف أننا لا نملك النظم الحاكمة للمؤسسات الحضارية الغربية بوصفها الحالي مع مراعاة تعديل وتبديل ما يحتاج الى ذلك حتى تتواءم مع المبادىء والاخلاقيات الخاصة بنا.

أو نبدع البدائل علما بأن النظم الحضارية هي محاولات بشرية تنطلق متحررة من كل القيود الا القيود الاخلاقية والمبادىء الاساسية التي يحددها الكتاب والسنة التى هي خير أساس لقيام حضارة انسانية ليس كمثلها حضارة. غير أن ابداع البدائل يقع عبء الافتاء فيه على المتخصصين في أعمال هذه المؤسسات، مع استشارة الفقهاء واستفتائهم في شأن الحلول التي يقدمها أهل الاختصاص، هل تطابق الشريعة الاسلامية أم لا. وعند هذا الحد يبدأ عملهم وينتهي تاركين لذوي الاختصاص واجبهم في تقديم الدراسات وتقديم الحلول.

على أنه يجب ان يكون المتخصص في أي مجال على قدر معقول من الثقافة الاسلامية، ثم يجب التنبيه أن **المحاولات** لتقديم هذه البدائل ما كان منها صوابا فهو من الاسلام، وما كان منها خطأ فهو محاولة مسلم وليست هي الاسلام، لذلك فان الاصلاح أمر ضروري مع فوز المحاول بأجر خطأ المحاولة.

القدرة على حماية المنجزات للأمة

ان هذه القدرة لها شقان :

الشق الذاتي وذلك عن طريق صيانة الذات من الامراض التي تهدد الحضارة عن طريق نظم فعالة قادرة على التطور والتصحيح الذاتي بالوعي واليقظة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون على البر والتقوى والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يجعل هذه المنجزات في حماية من التلاعب والعبث وتسرب أسباب الخراب والتقويض للبناء المقام.

أما الشق الخارجي فيتمثل في بناء أجهزة دفاع قوية تذود عن حمى كل المنجزات الحضارية، وتصد عنها الغزو العسكري والاجتماعي والنفسي.

الفصل الثاني

يتعلق بالقيود الذاتية للتحدي وهي :

- قيود فكرية
- قيود تنظيمية
- قيود اجتماعية
- قيود سياسية.

إن أهم قيد فكري يقيد التحدي هو الحيرة الفكرية، فهي أعضل مرض يصيب الأمة في مرحلة الاقلاع الحضاري. وخاصة عندما لا يكون لهذه الحيرة عمق علمي، بل يكون الأمر كله بين شعارات مختلفة تبدو متناقضة متنافرة.

إن تمييز الصالح من الطالح حسب المرحلة الحضارية هو أمر ضروري للتحرر من قيود جمدت الفكر، وتبعا لذلك قيدت التحدي بتدمير كل جهد يبذل من أجل اقامة الحضارة.

قيود تنظيمية :

إن التحرر من الأطر الجامدة التي حجرت فكر الآباء في عصور الانحطاط يستلزم التحرر من النظم الضيقة، فديناميكية الافكار تستدعى ديناميكية النظم، وديناميكية النظم تستدعي ديناميكية الافكار.

قيود اجتماعية :

هناك مجموعة من القيود الاجتماعية تعوق التحدي عن المواجهة والمجاوزة لبعض العادات والسلبيات الاجتماعية المستشرية التي تحول دون بعثنا الحضاري.

قيود سياسية :

ان أهم قيد يواجه البعث الحضاري لهو الأنظمة الطاغوتية، تلك الانظمة التي كثيرا ما تقوم المحاولات لازاحتها من الطريق، وبذلك تفقد الجماعة المريدة للتحضير وعيها لمهمتها الحضارية.

إن وجود الحاكم ذي العمق الحضاري قلما يوجد في المجتمعات الاسلامية، وأمام هذا الواقع فان على الجماعات الحضارية أن تتبنى منهجا حركيا يمكنها من تفادي الصدام مع السلطة السياسية، وذلك أولا

بالعمل على التغيير العميق البطيء الذي عادة لا ترى آثاره السلطة السياسية حتى ولو كانت لا تؤمن به، وثانيا تتجنب الخوض فى الاعمال السياسية اليومية كجماعات، انما تترك خدمة هذه المجالات لمجهود بعض افرادها دون ان تتورط هى في ذلك. ص : 46.

وهذا يقتضي أن تكون الجماعة الحضارية على علم ووعي تامين بحظوظ السياسة العالمية والمحلية وبمخططات المكر والكيد التي تحاط بالعمل الاسلامي وبالمسلمين من جانب اعداء الاسلام.

شروط موضوعية

ان البعث الحضاري لابد له من شروط موضوعية وهي :

- الشرط العددي.
- الشرط المكاني.
- الشرط الزماني.

ان الكتلة العددية ضرورية للاقلاع الحضاري، وهذه الكتلة لابد أن تكون في مستوى مؤسسات العصر التي تميز حضارات أخرى معاصرة. ويجب أن تحتفظ هذه الكتلة بالصفة المثلى بالنسبة لحجمها، بمعنى أن يكون كل فرد من هذه الكتلة ذا فعالية تسهم في الطاقة الحضارية بأقصى ما يمكنه من قوة ونشاط. فالمجتمع المتحضر ينبغي أن يكون حريصا على زيادة فعالية كل فرد من افراده، ويحترس من أن تضعف تلك الفعالية وتنحسر انحسارا عن بعض افراده الذين استشرت فيهم عدم الفعالية الاجتماعية أصبح مجتمعهم يعيش تحت فيض بشري يشكل معوقا، ومن ثم يجأر هذا المجتمع بالشكوى من قلة الرجال رغم العدد الهائل لافراده.

وأن الكتلة ينبغي أن تكون من حيث العدد لا تقل عن الكتلة العددية في الولايات المتحدة، ومن ثم فان الضرورة تفرض على العالم العربي ان يتحد فيما بينه كما هو الحال في أمريكا وروسيا أو أن يتكامل اسوة بأوروبا التي تعمل جاهدة للاتحاد عبر مؤسسات هامة كالسوق المشتركة « وان التفريط في هذا التكامل جريمة قومية سوف تؤدي بكل الجهود المبذولة من أجل اقامة بنيان حضاري في أي بلد عربي.

أما الشرط المكاني :

فيعني به التفاعل الذي يحدث بين الانسان والبيئة فينتج عن هذا التفاعل تصور خاص بهما وحدهما، وهذا التفاعل ينشأ عن ألفة بين الانسان والبيئة، ومن خصائص العقيدة الاسلامية أنها تبعث المسلم على هذا التفاعل. وتختلف طبيعة التفاعل باختلاف العقائد التي أحدثته، وضمن هذا الشرط يقع أيضا حجم التفاعل مع المكان، أي كبر حجم التفاعل يعني مزيدا من الكنوز التي تمكن الانسان من العيش الكريم وتفتح أمامه دائما أبوابا من الرزق واذا لم يسعفه ظاهر الأرض لجأ إلى باطنها وهكذا تمتد آفاق المكان طولا وعرضا وارتفاعا وعمقا أمامه.

الشرط الزماني :

ويعني به الفترة الزمنية التي تحتاجها الامة لتبني لنفسها مؤسسات على مستوى الحضارات المعاصرة.

ويحلل الكتاب هذا الشرط تحليلا دقيقا مثلما فعل في الشروط الاخرى، وخلال مدة صنع الحضارة فان الانسان يبدأ من مرحلة التكوين الى مرحلة الفهم والاستيعاب ثم مرحلة الابداع.

ويبدو أن الكتاب يستعمل التكوين بمفهوم غير مفهومه عند الاستاذ مالك رحمه الله.

الفصل الرابع

عناصر هامة في شحذ الفعالية الاجتماعية للأمة :

يقدم الكتاب هنا وسائل وأدوات عملية لشحذ الفعالية الاجتماعية التي تحقق الانطلاقة الحضارية المرجوة.

وفي الكتاب ملحق يتعلق بفكرة الاحتمال الحضاري والامكان الحضاري، فالاول يتحقق بوجود الانسان المتكامل المتهيىء لحمل عبء الحضارة.

ثم هناك تفسير لمعنى كلمة تراث واخيرا هناك تحديد لمعنى لفظة الفعالية.

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة والمناقشة لانه يثير قضايا حيوية في فقه الحركة والتنظيم والتكوين الحضاري.

إنه خطوة هامة في ميدانه الفكري البنائي تجاوز بعض القيود النظرية الى حيز العمل.

والكتاب يبين بوضوح مدى إفادة المؤلفين من مدرسة مالك رحمه الله ومدى إفادتهما من الحضارة المعاصرة مع الالتزام الصارم والواضح بالعقيدة وأسس الحضارة الاسلامية.

لا أود في الاخير أن أدلي برأيي الخاص في الموضع إذ حسبي أن أدل على هذا الكتاب وفضله وأن أحمل المهتمين على قراءته لعل المؤلفين يجدان من يسهم معهما في بناء المشروع متكاملا في مجمله وتفصيلاته للبدء في الخطوة السليمة نحو إقلاع حضاري اسلامي.

إصـدارات

صدر العدد الرابع من مجلة «المشكاة» حافلا بالدراسات القيمة المتنوعة. وقد تضمن العدد الرابع المواضيع التالية :

نحو ثقافة بانية : «معالم في الطريق» لرئيس تحريرها الأستاذ : حسن الأمراني
نحو منهج إسلامي في النقد الأدبي للأستاذ : علي الغزيوي في الأدب الاسلامي
ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب للدكتور عماد الدين خليل
الاتجاهات الأساسية في مسرح الهواة بالمغرب للأستاذ : مصطفى رمضان»

بالاضافة إلى ما تضمنه العدد من القصائد الشعرية، وبعض المسرحيات والرسائل الجامعية وغير ذلك من مختلف الفنون الأدبية

نرجو للصديقة «المشكاة» مزيدا من التقدم والتوفيق

نشيد الطفولة المهازلة

مدينتي من قصب

مدينتـــــي من قصب
سكانهـــــا من خشب
بستانهـــــا من حطب
مدينتـــــي من قصب

* *

رؤوسهـــم كالـــعلب
عيونهـــم كالثـــقب
آذانهـــم كالقـــرب
مدينتـــــي من قصب

* *

عقولهـــم في عطب
أيديهـــم في لعب
أرجلهـــم في ذنب
مدينتـــــي من قصب

* *

شبابهـــا في ملـــعب
شيوخهـــا في طرب
غناؤهـــم من صخب
مدينتـــــي من قصب

* *

تجارهـــا في نهب
عمالهـــا في رهب
طلابهـــا في غضب
مدينتـــــي من قصب

نبابهـــا من ذهب
حيلهـــا كالثـــعلب
تلسع لسع العقـــرب
مدينتـــــي من قصب

* *

إنتاجهـــا من عنب
ودخلهـــا من عشب
ومالهـــا من مطلب
مدينتـــــي من قصب

* *

أحزابهـــا في شعب
صحفهـــا في كذب
نوابهـــا في خطب
مدينتـــــي من قصب

* *

قرآنهـــا للمنـــتدب
سنتهـــا للـــمشجب
فدينهـــا في الكـــتب
مدينتـــــي من قصب

* *

أبناؤهـــا من عرب
وفكرهـــا من غرب
فيالـــــه من عجب
مدينتـــــي من قصب

أبو محمد
فاس أكتوبر 84

من الشعر الاسلامي المعاصر في المغرب

" سوانح الوجدان " للدكتور عمر بوستة

الأستاذ عبد الرحمن عبد الوافي

1) الدكتور عمر بوستة، شاعر، وطبيب، وديبلوماسي(1)، وما أقل العلماء الأدباء في ثقافتنا المغربية المعاصرة ! خلافا لما نلمسه في المشرق العربي حيث الأطباء والمهندسون والمحامون وغيرهم من ذوي الاختصاصات العلمية يزاحمون أهل اللغة والأدب في مجال الابداع. وحسبنا أن نذكر مثلا أحمد زكي أبا شادي وإبراهيم ناجي، ويوسف إدريس. وكلهم طبيب؛ لنرى فيهم أسماء لامعة في محيط أدبنا العربي الحديث.

أقول هذا وأنا أعلم أن شاعرنا الطبيب لا يرى في إنتاجه امتيازا أو فضيلة خاصة، بل لقد دفع به التواضع إلى أن يقول عن مجموعته الشعرية (... لا أجرؤ أن أصفها بأنها شعرية...)(2) وإذا كان تقييم النتاج الأدبي من حق القراء والنقاد أساسا، فإن كلمة شاعرنا هذه تعكس على الأقل ميله إلى التواضع « الأدبي » وهو خلق كريم ما أحوج ساحتنا الأدبية إليه !

2) يحتوي ديوان « سوانح الوجدان » على ثلاث وتسعين قصيدة، صدر لها الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال بكلمة نقدية موجزة. وتتوزع قصائد الديوان عبر أقسام سبعة هي بالتتابع : « اقتباسات من القرآن الكريم » - النضال من أجل الاستقلال - النضال من أجل تحرير الصحراء - الكفاح لتحرير الأراضي العربية والقدس الشريف - وجدانيات - منوعات - الخلاصة -)

ولا أرى من الضرورة أن أبين بعض مظاهر الخلل في هذا التقسيم، مادمت أتقبله بقبول حسن على العموم، إلا أنني لن أنتقل إلى مناقشة الديوان قبل إبداء ملاحظتين هامتين في نظري رغمْ أنهما شكليتان فحسب.

تتعلق الملاحظة الأولى بخلو الديوان من عملية التأريخ للقصائد. وغير خاف ما تقدمه هذه العملية من فوائد للناقد الأدبي إذ بواسطتها يتمكن الناقد من رؤية النص وهو داخل الظروف والعوامل التي فعلت فعلها في بنائه، مما يعاونه على إنزال النص منزلته الحقيقية من التجديد والابداع أو التقليد والاتباع. والواقع أنني حصلت بعد لأي على تصور تقريبي للفترات الزمنية التي كتبت فيها أكثر قصائد الديوان، اعتمادا على الظروف العامة لإبداعها، كما هو الحال بالنسبة للقصائد الوطنية والقومية، أو على التنبيهات التي أوردها الشاعر في مقدمة الديوان، وتتعلق بجملة من القصائد ذات الموضوع الديني. إلا أن قسما هاما من القصائد بقي تاريخ ميلاده في حكم المجهول، ويمكن ان نتصور مقدار الضرر الذي قد يلحقه هذا النقص في أعمال البحث.

وعليه فإن شاعرنا لو عمل على التأريخ لقصائده لأراح ناقده وقارئه على السواء من ركوب الحدس والتقرير، وهو مركب غير ذلول ولا مأمون العواقب على كل حال !

أما الملاحظة الثانية فتنصب على ظاهرة ولع الشاعر بكتابة المقدمات والايضاحات النثرية لكثير من قصائده، حتى إن القارىء ليستطيع الزعم بأنه قد قرأ هذه القصائد من قبل أن يقرأها !! ويزول العجب عن هذا الزعم إذا علمنا أن الشاعر قد عمل على التقديم لبعض قصائده بسائر العناصر الأساسية المكونة لها ! ويطغى هذا الاجراء خاصة في قصائد المناسبات الدينية والوطنية والقومية، ولا جدال في أن هذا عمل زائد لا خير فيه، بل إن فيه ضررا بالغا بالنص، هذا العالم المغلق الذي يغرينا بمجابهته وجها لوجه، قصد أن نقتحمه ونحن مزودون بعواطفنا الذاتية ومعارفنا العلمية وحدها، من غير لجوء إلى استعداء أدوات أجنبية تقع خارج النص.

قضية الشكل الفني في الديوان

كان بودي أن أقصر الحديث على مستوى المضمون فحسب، مادام العرض يستهدف أساسا استبيان ملامح النزعة الاسلامية التي تتوافر عليها قصائد الديوان. إلا أن الواقع الفني لهذه القصائد يدفع المرء دفعا إلى محاورتها بسبب من القضايا الفنية واللغوية التي تطرحها.

وتتمثل هذه القضايا في تجاوزات الشاعر لعدد من قواعد الكتابة الشعرية العربية، إن على مستوى النظم أو على

الديوان هو ظاهرة « التدوير » في شعر الشاعر. وذلك على مستويين: مستوى المطلع ومستوى القصيدة بأكملها. فعلى مستوى المطلع، لاحظت أن الشاعر كثيرا ما افتتح قصيدته بمطلع مدور ! وهو إجراء غريب لم أعثر له على مثيل فيما قرأت من الشعر العربي قديمه وحديثه. فضلا عن أنني لم أجد ذكرا لهذه الظاهرة في كتب العروض التي تيسر لي الاطلاع عليها.

وهذه نماذج من المطالع المدورة في الديوان :

(9) قل مؤمنا « أحد إلهي لا شريك
لذاته واسجد بقلب خاشع

(10) الله صورنا فأحـ
سن صنعه سبحانه

(11) عادوا وعدناهم لكيدهم ونحن
نذود عن حق لنا في أرضنا

(12) يا من تطاول كيدهم ليسيء
للجار الأمين تأملوا العواقب

ولا شك أن ظاهرة تدوير المطالع هذه عيب فني واضح، ولا يمكن بحال أن نرى فيها صورة من صور التجديد. وعلى العكس من ذلك فإن ظاهرة تدوير قصائد بأكملها في هذا الديوان، مما يمكن اعتباره تجديدا شعريا، لا سيما وأن الشعراء المعاصرين أصبحوا يكثرون منها، وذلك إمعانا منهم في التمرد على سلطة القافية، لائحة الوقوف الحمراء في الكتابة الشعرية العربية التقليدية، كما نعتها بحق أو بغير حق الشاعر السوري نزار قباني.

في الديوان ثلاث قصائد مدورة : « الجار البيء(13) وقصيدة « هل »(14) وقصيدة لا تحمل أي عنوان، وهي مستوحاة من آية قرآنية كريمة(15).

وحتى تتوضح هذه التجربة أمام ناظر القارىء، فإنني مثبت هنا أحد النماذج الثلاثة (النموذج المستوحى من الآية الكريمة)، على أنني لن أكتبها وفق النظام التقليدي كما هو حاصل في الديوان، وإنما سأسمح لنفسي بكتابتها وفق نظام القصائد المدورة الحديثة، القائمة على أساس الأسطر الشعرية. استجلاء لنظامها التدويري.

(زرعت البر حتى ظن أن الالاه قضى فكلفني فسرت، على النحو المعد وما أبالي بنوري في يدي فاضت وكنت أسارع للعطاء بلا حساب، فصار الخلق يحسبني أمرت، لأبذل دون أجر فاستطابوا عطائي فاندفعت وما انتبهت لكون الأكثرين يرون أني غبي ما علمت وما فهمت..) نلاحظ هنا أن قراءتنا لهذه الأبيات او الأسطر الشعرية على الأصح تلزمنا أن نسترسل في القراءة من غير انقطاع او توقف لكون البيت الواحد لا يستقل لمعناه، بل يتضمنه البيت اللاحق الذي يتعلق معناه هو أيضا بالبيت الذي يليه، وهكذا دواليك، وقد يقال إن هذا هو « التضمين » الذي عرفه الشعر العربي منذ القديم.. إلا أن الذي يدفع هذا القول هو أن التضمين لا يتجاوز في أثره تعليق معنى البيت الشعري بمعنى البيت التالي له.

وقد يقال أيضا، إن تجربة التدوير عند شاعرنا تختلف عن تجربة القصيدة المدورة بمفهومها المعاصر. وذلك لكون الشاعر هنا يحتفظ بنظام القافية. ولا تلتزم بها الا لماما، كأن تلجأ إليها عند نهاية كل فقرة شعرية مثلا، وهذا اعتراض صحيح، الا أنني أجد رغم ذلك تجديدا لا يستهان به في هذا المضمار عند صاحب « سوانح الوجدان »

متى نظم الشاعر قصائده المدورة ؟ ذلك ما حرمنا من العلم به بسبب من غياب التأريخ لقصائد الديوان، وهو الغياب الذي سبق أن أشرت إلى سلبياته في صدر هذا العرض. ولو سلمنا بفرضية أن تاريخ كتابة هذه القصائد المدورة يعود إلى أواسط الستينات مثلا، فإننا نستطيع حينئذ القول بريادة شاعرنا للقصيدة المدورة على مستوى الشعر العربي المعاصر.

مستوى اللغة داخل الديوان : يقول أحمد الشرقاوي إقبال (16) بصدد حديثه عن اللغة في الديوان : «... وتعرفت فيها على نمط من الشعر المغربي المعاصر الذي لين فيه صاحبه من صلابة السلفية الشعرية ويبوستها، ثم تحرز فيه من رخاوة الحداثة أو ميوعتها.

فقد يقف قارىء المجموعة على ليونة لغوية في شعر الدكتور، وقد يراها وهنا فيه، وعندي أن الدكتور لم يكن يريد أن يتجزل في كل شعره، وأنه كان أمينا يرسل الشعر على السجية، من غير تعمل، ولكن مع التحفظ في الاسفاف، وقد يرى فيه بعض تجاوزات لقواعد العربية والعروض، وأراه كان يترخص في ذلك ويتسوغ فيه، ولعل بعضه كان من قلة اهتباله بالتنقيح وفي الفرطات ما يقع منه ذلك..) في هذه الكلمة النقدية إقرار بظاهرة « التسامح اللغوي » - إن صح التعبير - عند شاعرنا الطبيب، مع محاولة ايجاد مبرر لهذا التسامح ممثلا في توجه الشاعر نحو شعر السجية والسليقة البعيد عن اعمال النظر والتنقيح.

وقد كان هذا الدفاع سيكتسب مزيدا من الفعالية النقدية لو أن شاعرنا لم يسبق أحيانا في لغته الشعرية بصورة تجاوزت أحيانا الحد المحتمل ارتكابه من لدن شاعر عريق في « المهنة » مثل شاعرنا.

إن النثرية والركاكة والحشو ظواهر لا تخطئها العين الناقدة للديوان. وإن كانت هذه الظواهر - من حسن الحظ - لا تشكل الطابع الغالب.

وهذه مثال للنثرية في الديوان.

يقول الشاعر : (17)
شعب المسيرة جاء من بيضائه
ومن الرباط ومن سلا وهلم جرا.

إن لفظة « هلم جر » هنا أثقل وأخشن من أن يتحملها جنس فني لطيف، هو جنس الشعر. كما ان الديوان حفل بأخطاء لغوية فادحة كما يقال لا لأن شاعرنا يجهل صواب هذه الأخطاء ولكنه الترخص الهادف الى الحفاظ على سلامة الوزن في الغالب.

يقول الشاعر (18) :
بالعلم طاروا للكواكب نشوة
بالعلم قد راموا اكتشاف الانجما.

مستوى اللغة. ويزداد الأمر تعقيدا حينما ندرك أن الشاعر واع بهذه التجاوزات، مصر على الإبقاء عليها، مما يحولها من مجرد أخطاء في حاجة إلى التصويب إلى موقف أدبي يتبناه الشاعر، الأمر الذي يغري بابداء الرأي وإعمال النقاش.

يقول الشاعر في كلمة تحت عنوان : « تنبيه لابد منه » (ص 14 ـ 19). « ... إنني أعلم أن بعض القطع لا تخضع لكل القوانين العروضية، وأن فيها تجاوزات، وأن فيها استعمالات كقوافي وألفاظ في ظروف غير معتادة، وأنها تفتقر لتنقيح دقيق... فمعذرة عن الليونة إذن، ومعذرة عن التجاوزات »،ثم يختم كلمته بقوله : « .. وقد آليت على نفسي أن لا أغير الا القليل مما جاء بديهيا وتلقائيا »

وسنتناول الآن تجاوزات الشاعر بالكشف والنقد، على مستويين اثنين، مستوى الأوزان، ومستوى اللغة.

● **مستوى الأوزان** : يحتوي الديوان ـ كما سبقت الاشارة إلى ذلك ـ على ثلاث وتسعين قصيدة. وجدير بالملاحظة أن ما يناهز ثلثي الديوان (إحدى وستين قصيدة بالتحديد) صيغت على منوال بحر الكامل، وغير خاف من الوجهة النقدية أن غرام الشاعر باستعمال بحر من البحور يتضمن بالضرورة دلالة فنية، حتى إن بعضهم عمل على الكشف عن علاقة التفاعل القائمة بين الحالات الوجدانية وبين إيقاعات البحور الشعرية. وفي هذا الصدد يقول العلامة عبد الله الطيب بخصوص البحر الكامل، مبينا خاصياته المميزة : « .. هو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقا تجعله ـ إن أريد به الجد ـ فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما لمجراه من أبواب اللين والرقة حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقا أو خفيفا شهوانيا. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض، سواء أريد به جد أم هزل، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن(2) فصله عنها بحال من الأحوال ». من هذا التعريف ندرك أن البحر الكامل من أقوى بحور الشعر غنائية. مما يجعلنا نرى فى شاعرنا صاحب أذن موسيقية تدفعه إلى تخير لذيذ الأوزان وأقواها صلصلة، وقد كان أحمد شوقي والعقاد كلاهما من المغرمين بالبحر الكامل. فقد أكثرا من التوقيع عليه في اشعارهما حسبما ذهب إليه صاحب (المرشد الى فهم أشعار العرب)(3)

استعمل الشاعر بحورا شعرية أخرى هي بالترتيب (معتمدا على كثرة الاستعمال) : الوافر ـ الرمل ـ مجزوء الرمل ـ المتقارب ـ الطويل ـ البسيط ـ الرجز ـ) ونلاحظ هنا أن أكثر هذه البحور من الصنف المصطلح على تسميته بالبحور القصيرة.

إلا أن الذي شان الديوان ـ مع الأسف ـ هو كثرة السقطات العروضية بالدرجة التى لا نكاد نعثر فيها على قصيدة سالمة عروضيا، بل إن زمام العروض لينفلت من يدي الشاعر أحيانا فيخرج حينئذ من صناعة النظم إلى صناعة ما يشبه النثر بسبب من اندثار الايقاع، وضياع الوزن. دليل ذلك نلمسه فى جملة من الأبيات الشعرية. نورد منها على سبيل المثال هذه الأبيات.

يقول الشاعر : (3)

لكن ثعبان الخيانة بث سمـــه
في عقول لا تخشى ولا تعـــي

ويقول أيضا : (4)

أصبح الفاجر ربا لمن استحـوذ
عن قلبهـــم الوســـــــخ

ويقول أيضا : (5)

شعب المسيرة جدد الماضـــي
ماضي ابن الوليد وطارق أولى العبر

أما السقطات العروضية العادية، أي تلك التي تفطن لها علماء العروض، وعملوا على لفت الشعراء إليها فهي من الكثرة في الديوان بحيث لا يتسع صدر المقال لمتابعتها، ولن أتابع هنا بعضا من الزحافات والعلل القبيحة التي ارتكبها الشاعر ولكنني سأكتفي بالاشارة إلى بعض الضرورات الشعرية التي التجأ إليها. وهي كثيرة في ديوانه أيضا.

يقول الشاعر (6) :

وأراضي عزيزات * * علينا سلبوها

فنراه عمل على تثقيل المخفف (أراضي) حتى يستقيم له الوزن

ويقول أيضا : (7)

فنأى لمنفاه السحيق مخلفا
أيتام ضاع ملاذها ورجاؤها

فلفظة أيتام متصرفة أصلا. إلا أن الشاعر هنا منعها من التصرف لغرض إيقاعي وفعل مثل ذلك في لفظه (قتال)، فقد منعها من التصرف في قوله : (8)

قتـــال ما عرف الزمـــان
بمثلـــه دون ارتيـــاب

ولا أريد أن أثقل كاهل الشاعر بمزيد من الملاحظات في هذا الصدد، فأنا أعلم ضيق صدور الشعراء بالنقد في الغالب لا سيما إذا كان هذا النقد منصبا على الجوانب الجمالية من إبداعاتهم

من خلال عملية استقراء للأشكال الفنية في الديوان، توضح لي أن الشاعر استعمل ثلاثة أشكال فنية استعمالا متفاوتا.

الشكل الأول : يتجلى في القصائد ـ وهي ـ في مقياس هذا العرض ـ كل مجموعة من الأبيات الشعرية يتجاوز عدد أبياتها خمسة عشر بيتا، وتمثل القصائد بهذا القياس ما يقارب نصف النتاج الشعري المضمن في الديوان.

الشكل الثاني : يتحدد في الشعر المزدوج والشعر المسمط وغيرهما من أنواع القصائد ذات القوافي المنوعة.

الشكل الثالث : يتمثل في نظام الشعر الحر، وهذا الصنف نادر في الديوان ندرة ملحوظة بحيث لا نعثر الا على قصيدتين اثنتين منه.

إن هذا التنوع في الأشكال الفنية يعكس مظهرا من مظاهر الميل إلى التحديد والبحث عن أكثر من قناة للتعبير الشعري.

إلا أن الذي أود الوقوف عنده ونحن بصدد الحديث عن الأشكال الفنية في

نجد الشاعر هنا قد نصب لفظة (الأنجم) والحالة أن نصبيها الكسر لكونها مضافا اليه إلا أنه نصبها خشية الاقواء لأن قافية القصيدة ميم مفتوحة.

على أن الطرافة حقا، تبرز في قصة شاعرنا مع الحرف « عن » فهو في تعامله مع هذا الحرف لا يتردد في إعطائه من المعاني ما ليس له أصلا، فيستعمله من ثمة في غير محله، والداعي إلى هذا المسلك مرة أخرى هو رغبة الشاعر في الحفاظ على سلامة الوزن.

وقد أحصيت على الشاعر خمسة عشر موضعا، تضمن كل منها استعمال « عن » استعمالا خاطئا. وأكتفي بتقديم بعض الأمثلة :

(19) وزادك رفعة عن رفعة..
(20) منَ عنى...
(21) وتسلطوا عن حق شعب..

وظاهر أن المعنى لا يستقيم الا بإحلال الحرف « على » محل الحرف « عن » في كل مثال من الأمثلة المقدمة.

وإذا كانت لغة الديوان قد خضعت أحيانا بالدرجة التي رأينا، فإنه يتبين لنا أن وصف الناقد الشرقاوي لشعر شاعرنا بالسجية مع التحفظ في الاسفاف هو وصف لا يخلو من مجاملة نقدية.

المضمون الإسلامي في الديوان

من خلال استقراء عام لقصائد الديوان تبين لي أنها ذات اتجاه إسلامي على مستوى المضمون، إن الروح الإسلامية تشكل قاسما مشتركا بين سائر القصائد على اختلاف موضوعاتها - باستثناء قصائد نادرة - إلا أنها - أي الروح الاسلامية - تختلف قوة وضعفا من مجموعة إلى أخرى تبعا لاختلاف الموضوعات، فنحن نجدها أقوى ما تكون في القصائد الدينية التي ينتظم أكثرها داخل القسم الأول من الديوان والمعنون بـ :

- اقتباسات من القرآن الكريم، وهي عبارة عن ثمان عشرة قصيدة استوحاها الشاعر من بعض سور وآيي القرآن الكريم(22) أما في الأقسام الثلاثة التالية (النضال من أجل الاستقلال - النضال من أجل تحرير الصحراء - الكفاح لتحرير الأراضي العربية والقدس الشريف)(23)- وهذه تتضمن جميعها قصائد وطنية وقومية - فإننا نلاحظ أن المضمون الاسلامي فيها يتعايش جنبا إلى جنب مع المضمون الوطني والقومي من غير أن يطغى أحدهما على الآخر. وهذه ظاهرة فكرية محتملة الوجود في الشعر المغربي الحديث مادام الفكر المغربي الحديث ظل وفيا بانتمائه إلى عقيدة الاسلام، ولم يعرف الهزات التي منى بها شقيقة في المشرق العربي، حيث برزت فئة من المثقفين القوميين حاولوا العمل على إفراغ الفكر القومي من محتواه الاسلامي.

وإذا نحن انتقلنا إلى الأقسام الثلاثة الاخيرة (وجدانيات - منوعات - الخلاصة)(24) فإننا سنجد أن أكثر قصائدها وجدانية صرفة يشغل أكثرها موضوع الغزل والقليل الباقي كتب في أغراض اجتماعية مختلفة.

على أن المضمون الإسلامي يتجلى - كما أشرت إلى ذلك آنفا - بصورة أقوى في الديوان، في قسمه الأول المعنون بـ : «اقتباسات من القرآن الكريم » ولذا أعود الآن للكلام عليه بقليل من التفصيل.

إن الاقتباس من القرآن الكريم ظاهرة بلاغية مألوفة معروفة في الشعر العربي منذ العصر الأول للإسلام إلى الآن. إلا أن الذي دفعني إلى الوقوف عند هذا القسم، هو الطريقة الفنية التي بنيت قصائده عليها والقائمة على استلهام القرآن الكريم على مستوى السور أحيانا، وعلى مستوى الآيات أحيانا أخرى. وكان نتاج مجموع ذلك كله أن استوت أمامنا تجربة شعرية إسلامية لا تخلو من جدة وإبداع.

من السور التي أختارها الشاعر مجالا لاستلهاماته(25) نجد السور التالية : سورة الضحى - سورة الشرح - سورة العصر - سورة الكوثر - سورة النصر - سورة المسد - سورة الاخلاص) وحتى أشرك القارىء في المتعة الروحية بهذه التجربة الشعرية الإسلامية فإنني أورد نموذجا تم استلهامه من سورة الضحى :

الله أقسم بالضحى وهو الذي
خلق الضحى سبحانه من خالق
وكذا بالليل الرهيب اذا سجى
هل من جدال فى الكلام الصادق
ما ودع النبى الكريم وما قلى
فالوحى جار مثل سيل دافق
فلسوف يعطيك الاله كما تشاء
ولسوف تسعد بالنعيم الخارق
ولسوف ترضى بالعطاء كما مضى
ولسوف تحظى بالعطاء اللاحق

وعلى هذه الوثيرة من الاستلهام يتعامل الشاعر مع باقى السور والآيات الكريمة وبعض الأحاديث الشريفة المنتخبة. وهو استلهام إسلامي سليم للقرآن الكريم كما نرى، في الوقت الذي يعمل فيه بعض(26) شعرائنا على استلهام تراثنا الاسلامى بنية التفجير كما يقولون، تلك النى ليست عند إنعام النظر سوى نية التخريب والتدمير للجانب العقيدي أو الروحى فى الدين الاسلامي الحنيف.

على أن إعجابى بهذه التجربة الشعرية الطريفة لن يمنعنى من الافصاح عما انطبع في ذهني إثر الفراغ من قراءتها. ذلك أن ضعف الخيال الادبى فى هذه التجربة وغياب « هاجس المعاصرة » أثناء التفاعل الأدبي مع الخطاب القرآنى الكريم الصالح لكل زمان ومكان - قد جعلنى أرى فى بعض نماذج هذه التجربة مجرد صنف من أصناف التفاسير القرآنية يمكن أن نطلق عليه إسم « التفسير الشعري للقرآن » !

على أن هذه الملاحظة لا أحب أن تؤول على أنها ارتكاس عن اعجابى بالتجربة، فالتجربة في نظري عملية ابداعية متميزة أساسا، وإنما استهدفت من وراء الملاحظة معاونة الشاعر - وبتواضع - على استبصار بعض مواطن الزلل الأدبي حتى يتجنبها فى تجاربه المقبلة.

وبعد، فقد كتب طه حسين ذات يوم مقالة(27) عن شعر علي محمود طه، إلا أنه ما أن شرع في الكشف عن أخطاء الشاعر في النحو واللغة حتى عدل عنها لأنه - على حد قوله - لا يريد أن يكون شريرا ! وهنا

السؤال : ايكون في تتبع الأخطاء نوعا من إلحاق الأذى بأصحابها ؟.

إن قولة عميد الأدب العربي" - في نظري - مجافية لروح النقد الخالص، فضلا عن مجافاتها للنقد الاسلامي القائم على المناصحة الخالصة، بناء على قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) وقوله أيضا : « لا خير في قوم لا يتناصحون، ولا خير في قوم لا يقبلون النصحية»

إن النيات متى خلصت لله، فإن كلمات النقد سوف تعرف سبيلها الى القلب مهما لاحت في البدء قوية قاسية.

وإذا كان الأمر كذلك فما أجدر بشاعرنا بوستة - وهو الشاعر الاسلامي كما رأينا - أن يعمل على تعزيز شاعريته وتقويتها على صعيدين اثنين - أولهما صعيد اللغة وتوابعها في ميدان الشعر. فتأتي لغة الشاعر فصيحة سالمة من العيوب. الأمر الذي ينسجم مع واقع شخصيته الاسلامية والا فمن يا ترى يغار على اللغة العربية، لغة القرآن، إن لم يكن هم أدباء الاسلام ؟

والثانى هو صعيد الرؤية، فبقدر عمل الشاعر على تعميق رؤيته الاسلامية إلى قضايا الكون والمجتمع والانسان يكتسب شعره لونه الاسلامي الحق.

والواقع أن ديوان « سوانح الوجدان » رغم الملاحظات المسجلة عليه، يعتبر في نظري إضافة هامة في الشعر الاسلامي المعاصر بالمغرب، وحبذا لو عمل على إخراجه في طبعة ثانية، منقحة ومعدلة حتى يتبوأ مكانته الأدبية اللائقة به في ثقة واطمئنان.

عبد الرحمن عبد الوافي
فاس 1984.12.28

هـوامــش

(1) عين الشاعر سفيرا للمغرب في كل من لبنان وايطاليا واليونان. والمانيا الاتحادية وتونس. ثم وزير الشبيبة والرياضة والشوون الاجتماعية. كما كان عضوا ببعثات في إجتماعات الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقيه... (مقدمة الديوان ص (20)

(2) « المرشد الى فهم أشعار العرب » د. عبد الله الطيب. ج 1 ص 246.

(3) قصيدة (المتعاونون) البيت السابع ص 172 من الديوان.

(4)« « (زمن المنكرات) البيت الثاني ص 137 « نفسه »

(5)« « (شعب المسيرة) البيت السادس عشر ص 15 « نفسه »

(6) « « (فلسطين السليبة والقدس الاسير) البيت التاسع. ص 190 « نفسه »

(7) « « (غزو لبنان ومذبحة بيروت) البيت الثاني ص 195 « نفسه »

(8) « « (ثمن السعادة في الدارين) البيت الاول ص 53 « نفسه »

(10) « « (اعتراف واستغفار) البيت الاول ص 101 « نفسه »

(11) « « (وان عدتم عدنا) البيت الاول ص 173 « نفسه »

(12) « « (الجار المسيء) البيت الاول ص 183 « نفسه »

(13) « « (الجارىء المسي) ص 183 « نفسه »

(14) « « (هل) ص 290 « نفسه »

(15) « « بدون عنوان ص 377 « نفسه »

(16) « « تقديم الديوان للاستاذ أحمد الشرقاوي اقبال من (ص 9 - 13)

(17) « « قصيدة (شعب المسيرة) البيت الرابع ص 149 من الديوان

(18) « « (غزو الفضاء) البيت الثالث عشر ص 344 « نفسه »

(19) « « (عودة في الديار المقدسة) البيت التاسع ص 79 « نفسه »

(20) « « (حسبي الله) البيت التاسع ص 79 « نفسه »

(21) « « (الاستهتار والصمود) البيت الثالث ص 177 « نفسه »

(22) استعمل الشاعر مصطلح « اقتباسات » وهو في نظري مصطلح بلاغي محدود يتلاءم مع هذه التجربة وكان من الاولى أن يستعمل لفظة « استلهامات »

(23) من ص 117 الى ص 211 (الديوان)

(24) من ص 219 الى ص 383) « نفسه »

(25) من ص 38 الى ص 115 « نفسه »

(26) من هولاء أحمد بلبداوي في مجموعته الشعرية « سبحانك يا بلدي »

(27) « حديث الأربعاء » طه حسين مقالة في الشعر : (الملاح التا ئه) لعلي محمود طه ص 148.

مع القراء الكرام

في إنتاجهم ومقترحاتهم وتوجيهاتهم

أولا نستسمح الاخوة الكرام الذين راسلونا منذ مدة ولم نتمكن من ادراج محتويات مراسلاتهم في العدد العاشر الذي استغرقت صفحاته المواضيع المتعلقة به.

وثانيا يعز علينا عدم ادراج أية مراسلة خلوة من الاسم الحقيقى لصاحبها وعنوانه، لأن المجلة مسؤولة عما ينشر فيها، فاذا كان البعض من الاخوة يرغب في نشر ما يبعث به تحت اسم مستعار فليقترح علينا ذلك، ولكن بعد ان يكون اسمه الحقيقي وعنوانه مبينين داخل المراسلة.

مساهمات

○ أرسل الينا الأخ بوناجي محمد من الرباط يقول :

« ان الغرباء هم الدعاة من لدن آدم عليه السلام الى يومنا هذا والى أن يرث الله الارض ومن عليها، محن، وابتلاءات ، ومكاره، وفتن... ولكن الدعوة استمرت وانتشرت ورسخت جذورها بينما ذهب المبطلون والطغاة الى حيث يتجرعون كأس الندامة والخسران المبين...

واذا كانت الدعوة تعرضت لحصار الطواغيت وجنود ابليس ليعود الاسلام غريبا كما بدأ غريبا، فمن ظلام الغربة يخرج الغرباء واحدا تلو الأخر يحتضنون الدعوة ويحفظونها فكانوا حصن الدعوة ومأمنها، فطوبى للغرباء.

* *

○ وأرسل الينا الأخ سلام أحمد ادريسو بمحاولة شعرية معنونة بـ « الأمل » جاء فيها :

أختاه... أيتها الأمـل
كم طوقـوك وكـم جفـوك
كم هاجموك... وجادلو
ك، فما استمعت الى الجـدل

ان المحاولة ما زالت فى بداية الطريق، فعلى الاخ ادريسو ان يقرأ كثيرا من الشعر بمختلف مدارسه لتصقل موهبته.

* *

○ وأرسل الينا الأخ مصطفى ابغيل من تطوان بمختارات منها هذه المختارة المعنونة بـ « ذنب لا يطمع صاحبه فى غفرانه » يقول فيها :

قال يوسف الكوفي - وكان قد روى الاشعار والأحاديث - حججت ذات سنة فاذا انا برجل عند البيت وهو يقول : « اللهم اغفر لى وما أراك تفعل » فقلت : يا هذا ما أعجب يأسك من عفو الله ! قال : ان لى ذنبا عظيما. فقلت : اخبرني، قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل، فأمرنا يوم جمعة فاعترضنا المسجد، فقتلنا ثلاثين الفا، ثم نادى مناديه : من علق سوطه على دار فالدار وما فيها له. فعلق سوطي على دار ودخلتها، فاذا فيها رجل وامرأة وابنان لهما، فقدمت الرجل فقتلته، ثم قلت : هاتي ما عندك والا الحقت الأخر به، فلما رأت الجد مني قالت : ارفق، فإن عندي شيئا كان اودعنيه ابوهما، فجاءتني بدرع مذهبة لم أرى بمثلها في حسنها، فجعلت أقبلها فاذا عليها مكتوب بالذهب :

اذا جاء الأمير وصاحبه
وقاضي الارض اسرف فى القضاء
فويل ثم ويل، ثم ويل
لقاضي الارض من قاضى السماء

فسقط السيف من يدي وارتعدت وخرجت من وجهى الى حيث ترى.

* *

○ وبعث لنا الأخ عبد العزيز فارح من وجدة مساهمة بعنوان : « خواطر متفرقة » يقول فيها :

قالوا : أيها المسلمون انكم متطرفون ومتزمتون ورجعيون.

قلنا : أهلا ومرحبا بالتطرف والتزمت والرجعية اذا كنا بإسلامنا، نقف وراء القضبان، أوننفى من الارض، أونقتل في سبيل الله).

قالوا : سنسجنكم، سنطردكم من رحمتنا، سنقتلكم جميعا. قلنا بلسان واحد :

سيزول ليل الظالمين وليل بغي مجرم
سيزول بالنور الظلام ظلام عهد معتم
أنا مؤمن بالنصر للاسلام للنهج
السري الأقوم
أنا مؤمن بالنصر للايمان للوعي
الأبى المسلم

قالوا : وراء كل عظيم امرأة.

قلنا : ووراء كل ملحد أو مشرك يهودي أو يهودية، حقيقة يعلمها البعض وأكثرهم عنها غافلون.

قالوا : إننا نحارب الصهاينة، أما اليهود فهم اصدقاء ويحبون السلام والعيش داخل حدود آمنة.

قلنا : بذلك عبرتم عن سذاجتكم أو عمالتكم وخيانتكم، وصدق فيكم أنكم « سماعون للكذب أكالون للسحت» وكفرتم بقوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ».

قالوا : ان الروس يلقون من طائراتهم العمودية لعبا للاطفال محشوة بالقنابل والمتفجرات.

قلنا : ذلك من عطاء الحرية والعدالة والديمقراطية في جنة الشيوعية.

قالوا : ان العربى يأبى الظلم ولا يرضى انتهاك الشرف والعرض.

قلنا : لذلك تتجرد بنت العربى وزوجته وأخته من اللباس على الشواطىء وتعرض كل واحدة نفسها فى ذلك المستنقع.

ثم يقول في خواطره المتفرقة :

عجبت لمن يصرخ ويعوي ويقول : ان الايمان في القلب، ثم هو يجهر بالكفر ولا يتركه في قلبه.

عجبت لمنطق بعضهم بحصر الثقافة في الأغاني والرقص والموسيقى ومسابقة ملكة الجمال، وأغنية الموسم، ويسمي ذلك ترويحا عن النفس واستراحة للعقل.

* *

○ وبعث الينا الأخ حنفى نور الدين بمساهمة عنونها بـ « البرلمان التجارة المربحة » نعتذر عن عدم نشرها لاعتبارات لا داعي لذكرها في هذا المقام.

ونرجوا أن يبقى الأخ حنفي مساهما بموضوعات بعيدة عن أسلوب الجرائد اليومية المتابعة للاحداث في حينها، لتبقى صالحة للنشر في كل وقت وحين.

* *

○ وبعث الينا الأخ المرواني جمال من تطوان مساهمة بعنوان :

« خطورة نظام التعليم الغريب علينا » يقول فيها :

« إياك أن تكون آمنا من العلم « الغريب » الذي تدرسه، فانه يستطيع ان يقتل روح أمة بأسرها » هكذا نطق المفكر الهندي الاسلامي المعروف « محمد اقبال » رحمه الله.

لقد عايش النظام الانجليزي للتعليم وعانى من ويلاته، واستخلص من تجربته أنه مؤامرة على الدين والاخلاق، ومدى خطورته في تحويل عقول شبابنا من مروءة عمر الى غرور وصلف أبي لهب.

وقد لاحظ المستشرق « جب » « ان التعليم الغربي بكل انماطه ومناهجه يجعل من المسلمين في سلوكهم لا دينيين ».

وهكذا تكونت أجسام اسلامية بذوق وعقل افرنجي غريب عن اصالتنا الاسلامية، بل يناقض كل ما هو اسلامي.

إن طريق التجدد والتفرنج الذي تمشي عليه نظم تعليمنا تذيب ذاتيتنا العريقة، وتعمل على انصهار الشباب في بوتقة الغرب، كما انصهر بوجه خاص شباب البعثات العلمية التي تصدر الى الغرب. اذ يعودون للاسف عبارة عن خزان لأفكار غربية تنفجر كالبركان أمام كل ما هو ديني أو اخلاقي.

ان هذه البيئة الفكرية الغربية داخل حصوننا التعليمية أخطر جبهة يواجهها الشباب المسلم الذي يعيش صراعا نفسيا دائما يتأرجح بين عقليتين متناقضتين.

وحل المشكلة يتأتى عن طريق صوغ نظام جديد للتعليم من جديد يتمشى وهويتنا الاسلامية، وينطلق من روح عقيدتنا السمحة، والعمل بجدية على استئصال كل فكر مادي يقوم على الصراع بين الدين والعلم، أو بين الغريزة والأخلاق.

* *

○ وكتب الينا الأخ التادي صلاح من البيضاء مراسلة يثني فيها علي الخط الذي سارت عليه المجلة، كما بعث الينا مساهمة بعنوان : « مختارات اسلامية » جاء فيها :

« أول من أسرج المسجد : تميم الداري رضي الله عنه فى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ».

وآخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة : الراضي بالله وفي أيامه ضعفت الخلافة العباسية.

وأهدى الى المرأة المسلمة هذه اللطيفة :

« أهدى المنذر الى أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، ثيابا رقاقا - وكانت قد عميت - فلما لمستها ردتها فقال لها ابنها : انها لا تشف، فقالت : ان لم تشف فانها تصف ».

**

○ وبعث الينا الأخ جمال بمساهمة عنونها بـ : « الاعلام ودوره في المجتمعات الاسلامية، جاء فيها :

لاريب ان لوسائل الاعلام دورا جسيم الخطورة في صقل التصورات، وتقويم الرأي العام، كما لا يغيب على أذهاننا دور الاعلام في اثارة العواطف وتحريك الوجدان، وتأثيره على النفوس. والتلفزيون خاصة الذي أصبح ظاهرة اكتسحت جميع البيوت على مختلف المستويات. ورغم التفاوت المادي بين الطبقات نجد هذا الجهاز قد أصبح يتنافس والمنتجات الغذائية.

فخطورة هذه الظاهرة جديرة بالتدبر واعمال النظر في أهمية هذا الجهاز ودوره الايديولوجي. لكن المشكل المطروح هو : هل المسلمون اليوم واعين لأهميته، هل اتخذوه وسيلة لبث المعتقدات والتعاليم الاسلامية ؟! هل جعلوا من هذا الجهاز أداة لاصلاح وتغيير المجتمع والسير به على طريق الهدى والحق ؟!

لاشك أن نظرة خاطفة الى البرامج تعطي الاجابة عن هذا التساؤل، حيث اصبح تلفزيوننا ببرامجه في واد، وتراثنا ومعتقداتنا وأخلاقنا وآدابنا المبرزة لشخصيتنا في واد آخر. ألم يأن لنا أن نفكر بجدية والتزام حول قضايانا المعاصرة، لنستفيد من التقدم التكنولوجي ونسخره لنشر الاسلام والتعريف بمبادئه وأهدافه العقائدية والاجتماعية.

**

○ وبعث الينا الأخ محمد سالم من موريتانيا رسالة يشكو فيها مما يعانيه المسلمون عامة من التشويه والتعتيم الذي يسلطه الاعلام الاجنبي على المسلمين وتحركاتهم ومقاصدهم، ويرجوا ان يقوم الاعلام الاسلامي بدوره في توضيح الصورة الحقيقية، وتغطية الاخبار المتعلقة بأحوال المسلمين أينما كانوا، ليشيع فهم الشباب المهتم بأمر المسلمين.

**

○ وبعث الينا الأخ عنيبي محمد من الرباط مجيبا على « ظاهرة الحجاب لماذا ؟ » التي نشرتها بعض الجرائد محاولة القاء الأشواك في طريق الفتاة المسلمة، نقتطف منها ما يلي :

1) ظاهرة الحجاب تعبير عن الالتزام بالاسلام وأحكامه التي تحرم التزين والتبرج « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها »، « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »، فهي تعبير عن بداية رجوع المرأة المسلمة الى ربها.

2) ظاهرة الحجاب رمز الصمود والثبات، لأن الحجاب سبب للمسلمة بعض الصعوبة المتمثلة في مضايقة الأهل، والمدرسة، وأماكن العمل، والاعلام المضاد الذي يشكك في قيمة الحجاب، ويعطيه أبعاد مخيفة ومنفرة للاستعداء عليه، زيادة على ما يتعرض البعض من المسلمات من التعسفات والاعتقالات والاستنطاقات في مختلف أقطار العالم الاسلامي.

3) ظاهرة الحجاب علامة تحد وتجاوز، لأن تألب جميع الاتجاهات يمينية كانت أم يسارية ضد الاسلام وأبنائه تجعلنا نجزم أن كل مظاهر الاسلام تمثل تحديا للفكر أينما كان، وتجاوزا للطغيان أينما وجد.

وارتداء المسلمة للحجاب خير دليل على أننا نرفض أن تكون اخواتنا عبارة عن متعة للفراش - في ذهن الرجل - أو لعبة للتلهي

ليس إلا، فهو تحد للتقاليد الجاهلية، وتجاوز للفكر الجاهلي بكل ما تحمله كلمتا التحدي والتجاوز من معان.

4) ظاهرة الحجاب نقطة انتصار، نعم انتصار على الطغيان والاهواء سواء تمثلت في موسسات ثقافية أو في حركات سياسية، وصرخة احتجاج على ان الاسلام هو المنتصر أخيرا رغم المحاولات التي تهب من الشرق الملحد أو الغرب المنحل. ان ارتداء الحجاب يجعلنا نفخر ونعتز بأن قافلة الاسلام سائرة الى النصر بإذن الله تعالى.

ردود خاصة

1) الأخت بهو خديجة : نعتذر عن الكتابة اليك لأن ذلك متعذر علينا، وصدر المجلة مفتوح لمساهمتك ومشاركتك، فراسلينا باستمرار وسنعمل على نشر كل ما نراه محققا للفائدة المرجوة. أما ما تعانيه من الغربة فيسليك عن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « فطوبى للغرباء » وليس ما تشعرين به من النقص في ميدان التفقه في الدين علامة مرض، بل هو ظاهرة صحية إن شاء الله، لأن أول دلائل الصحة أن يشعر الانسان بنقصه، وذلك يدفعه الى البحث عن تكميل نقصه بالبحث والمطالعة والمحاورة، ونحن على استعداد لارشادك الى ما تحتاجين اليه اذا ما بينت لنا ميادين النقص. ولكن عليك أن تكوني متيقنة أن زاد المسلم والمسلمة هو القرآن، والسنة، والسيرة النبوية. فاصمدي، واصبري، وتحملي فالعاقبة للمتقين والمتقيات.

2) نعتذر للأخ العنيبي محمد عن عدم ادراجنا لمقترحاته في هذا العدد، وسوف ننشرها في الأعداد المقبلة ان شاء الله.

3) الى الاخت « بنت الفضيلة » من القصر الكبير، الجواب موجود في قوله تعالى : « وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما» وفي قوله تعالى : « ولا يعصينك في معروف » وفي قوله صلى الله عليه وسلم « السمع والطاعة حق على المرء فيما احب او كره ما لم يؤمر بمعصية، فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ويمكن للمجلة ان تنشر فيما يستقبل ما يتعلق بحدود الطاعة للاهل والاقرباء والازواج، ولكن عدم الطاعة لا يعني عدم الاحسان أبدا ولا يعني قطع العلاقة بين الانسان وعائلته فالله تعالى يقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (سورة الممتحنة).

4) الى الاستاذ بنعزوزة الحسين، من مدينة سيدي سليمان :

سنعمل على نشر مقالك في الاعداد المقبلة ان شاء الله تع"

5) الى الاخوة : م.ن.و ق. ح. من الراشدية (السابعة علمي) :

الاختلاط بالشكل الحالي المعروف والمشاهد لا يقره الاسلام حيث لا حشمة ولا وقار ولا التزام بآداب الاسلام وحدوده المقررة في الشريعة الاسلامية. أما الاختلاط المقيد بحدود التعاليم الاسلامية في الصلاة، والمحاضرات، وأماكن العلم والبحث، حيث لا ازدحام في الدخول والخروج، ولا اختلاط في الصفوف، بل تجلس المرأة في المكان المخصص لها شرعا، فذلك مما لا يضيق صدر الاسلام عنه، وقد كانت النساء يصلين خلف الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت نساء النبي يجبن من يريد التفقه في دينه من وراء حجاب امتثالا لقول الله تعالى : « واذا سألتموهن فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » (سورة الاحزاب). فالمناقشة البريئة في قضايا الاسلام لا حرج فيها بشرط المحافظة على طهارة القلب، وحفظه من الافتتان.

ومن أعظم الوقايات الاسلامية عدم الاختلاء بالفتاة ولو كانت بنت الخالة أو بنت العم حرصا على سلامة القلب، وسدا لمنافذ الشيطان، فحذار من الانزلاق الذي يحلق الدين، ويفضي الى تشويه السلوك الاسلامي، فالاخذ بالعزم أولى من الترخص المؤدي الى الريبة. والله الموفق.

6) الى الآنسة بدري حليمة، وكل من يبحث عن كيفية المشاركة في المجلة من الاخوة والاخوات :

ان ارسال الاشتراك يتم بطريقتين :

1) ارسال الاشتراك على شكل حوالة باسم المدير على عنوان المجلة.

2) ارسال الاشتراك على شكل حوالة بريدية الى الحساب البريدي للمجلة وهو : 22.67 P. الرباط.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أخي القارىء،

الهدى لك وإليك،

فعرِّف بها،

وكاتبها،

وشارك فيها.

الاشتراكات عن عشرة أعداد

• في المغرب ودول المغرب العربي

- العادي : 50 درهما
- للمؤسسات : 100 درهم
- التشجيعي : 200 درهم

• في الأقطار الأخرى

- العادي : 12 دولارا أمريكيا
- التشجيعي : 24 دولارا أمريكيا

يرسل الاشتراك باسم مدير المجلة على طريقتين :
1) إما على شكل حوالة باسم المدير على عنوان المجلة
2) إما على شكل حوالة بريدية إلى الحساب البريدي للمجلة وهو : P 22.67 الرباط.

مؤسسة بَنْشَرَة للطباعة والنشر
« بَنِميدْ »
5، زنقة مستغانم — الدار البيضاء

المحتويـــات

سبيس ترونيك

اختراع فريد لانظيرله

اختراع إسلامي فريد
تصميم سويسري رائع
تصنيع ياباني فائق

- لاول مرة التقويم الهجري إلى جانب التقويم الميلادي
- الاتجاه الدقيق المحسوب بالكمبيوتر للقبلة
- تعطي الموقع الجغرافي للمدينة المتواجد بها الشخص
- دائرة منبهة إضافية للمواعيد





الدكتور ابراهيم